صورة للملك فيصل الثاني
في احتفالات عيد الشجرة عام ١٩٥٧

من أخبار العراق في العشرينيات

أخبار وحوادث يهود العراق

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2215) السنة التاسعة
الإثنين (8) اب 2011

12

طرائف عن الزهاوي

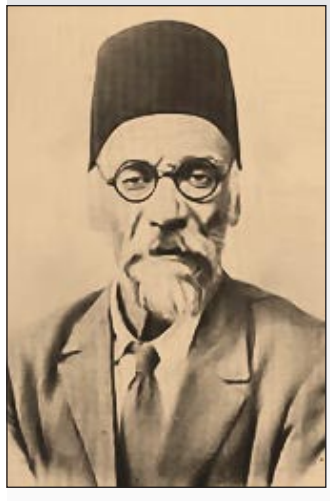

أخبار وحوادث يهود العراق في يوميات محمود خالص" ذاكرة ورق"

إعداد : مازن لطيف

يفتخر القضاء العراقي بأنه انجب رموزاً كثيرة، ومن ابرز رموزه كان القاضي محمود خالص (1900-1981) عمل بنزاهة وعدل في خدمة القضاء، عاصر الفترة الملكية والانقلابات الجمهورية المتعاقبة، اصدر ولده د. وليد محمود خالص مذكرات والده بمجلدين كبيرين (1584صفحة) بعنوان (ذاكرة الورق- ستون عاماً من تاريخ العراق الحديث في يوميات محمود خالص) والمذكرات عبارة عن يوميات كتبت للفترة (1920-1981) دونها المرحوم خالص بشكل يوميات وهذا ما يميز المذكرات اليومية التي تقي صاحبها من النسيان للوقائع والحوادث المتلاحقة.. قرأت المذكرات بإمعان وقد اعجبتني كثيراً لأنها تنقل وقائع واحداث تاريخ العراق الحديث يوماً بيوم.. وخلال قراءتي للمذكرات وجدت فيها حوادث واسماء ووقائع تخص يهود العراق الذين اهتم بتاريخهم اهتماما خاصا، واقدمها للقارىء العراقي والعربي كونها كتبت بموضوعية وانصاف.

رحم الله القاضي محمود خالص، لقد كان وطنيا عراقيا مخلصا لم ينجرف مع ضعاف النفوس من النفعيين والكارهين للمساواة بين جميع الاديان والطوائف، مثقفا نزيها ممن كان العراق في امس الحاجة اليهم ايام الحقد الاسود نحو الاقليات والمذاهب الاخرى، نرجو ان تكون هذه المقتبسات عبرة للعراقيين اليوم وقدوة لهم لكي ننقذ العراق من التجزئة والتشرذم.

الخميس ٥-٤-١٩٢٣

ذهبت الى المكتبة فقرأت كثيراً، ثم أتاني منشي كاشي فذهبت وإياه الى جمعية الشبيبة الإسرائيلية لاصحح اغلاط رواية يزمعون تمثيلها، ثم الى مكتب الإليانس الموسوي.

السبت ٢٤-٤-١٩٢٦

اشتعلت المحكمة بتدقيق أوراق دعوى الجناية "قتل اليهودي الياهو كرواي، وابنه" فحكمت المحكمة على المتهمين السبعة" علي جدوع،عبد الرضا صبري، عزيز،حنتوش،حميد" بالاعدام شنقاً إلا أنها رأفت بحق حميد، وبدلت عقوبة الاعدام بالاشغال الشاقة المؤبدة، وكنت قد خالفت في أمر تجريم خمسة، لأني وجدت الادلة غير كافية.

الاربعاء ٢٨-٣-١٩٢٨

دعاني رئيس المحاكم، وأمرني بالجلوس مع هيئة المحكمة الكبرى لتشكيلها للنظر في دعوى تقديم سند إبرام مزوّر؟؟؟، وهو سوداني، فقررت المحكمة بعد ان استمعت الى بعض الشهادات توقيفهم حتى نتيجة الدعوى فأخذوا يولولون ويبكون.

الاحد ٨-٤-١٩٢٨

حكمت المحكمة الكبرى بالاكثرية على اولاد سوداني بالحبس الشديد لمدة سنة وفق المادة (٢٨٥) من ق ع ب .

الاربعاء ١٥-٥-١٩٢٩

جاء الياهو العاني يعتبك، لأن اخي لم يساعده في الانتخاب.

الجمعة ١٩-١-١٩٥١

الحكومة تسفّر اليهود، والذين اسقطوا جنسيتهم، وهي تعاملهم بخشونة نوعا، والناس هنا يهزأون بهم، والحقيقة انهم يلتحقون بدولتهم التي اسّسوها في فلسطين، وهم الذين يهزأون بنا، وقد تغلبوا على الدول العربية، ورغم انوفهم اسسوا هذه الدولة.

السبت ٢٠-١-١٩٥١

حصلت مشادة بين منشي كاشي، وعبد الرحمن زيور لم تعجبني، لأن كل واحد انحاز الى دينه، ان اليهود وإن كان فيهم معايب شاركونا هذا الوطن مدة من الزمن، ويجب علينا ان نعاشرهم بالحسنى فإذا أرادوا الذهاب وهم راضون، وأنّني رأيت من المسلمين مَنْ هم أدهى وأمرّ.

الاربعاء ٢٤-١-١٩٥١

جاري يعقوب المختار اليهودي، زوج ابنته كان موظفاً في القطار، أتهم باختلاس بعض الاموال، ومعه جماعة افرجوا عنهم إلا هو حبسوه ستة اشهر. وجدت جاري واقفاً بالباب صباحاً يستنجد فوعدته بأنني سأكلم من يدقق بقضيته بعدل وانصاف.

السبت ٣-٢-١٩٥١

أتممت شغلي،رجوت مساعدة جاري يعقوب المختار اليهودي، وعدوني بمساعدته، وهذا الجار كان يؤذينا ببعض افعاله، ومع هذا فأنا اعاونه، لأن حق الجار على جاره مهما كان مذهبه أو دينه.

السبت ١٠-٣-١٩٥١

صدر نظام مراقبة اموال اليهود المسقطة عنهم الجنسية العراقية، ستجد بموجبه اموال اليهود الذين اسقطت عنهم الجنسية، وقد جاء هذا التدبير متاخراً، لأن معظم الاموال قد اخرجت إلى البلاد الاخرى.

الاحد ١١-٣-١٩٥١

خرجت مساء الى بيت محمود نديم مع منشي كاشي، لعبت شطرنج، وكان عبد الجبار الراوي هناك، لعب مع منشي، ثم لعب معه، عند عودتي جلست في بيت منشي قليلاً لئلا يربط بين حالة اليهود اليوم، وصداقتي معه.

الثلاثاء ١٣-٣-١٩٥١

كلمت الاخ ماجد مصطفى ليعاون جبرائيل البنا بشأن تعيينه كمستخدم في مشروع ادارة اموال اليهود فكلّم الامين العام فوافق على ذلك.

اخذ الشرطة يتعسفون مع اليهود،لأنهم لم يفهموا مضمون القانون. يصادرون جميع اموال اليهود من منقول، وغيره، رزق جديد ساقه الله عليهم.

الاحد ٢٥-٤-١٩٥١

جاءني منشي كاشي متذمراً من صديق له، وعده ان يعطيه دينه فلم يفعل، كلمته هاتفياً، وعد ان يدفع له، جُبل الناس على هضم حقوق اخوانهم في الانسانة اذا تمكنوا من ذلك.

الاثنين ٩-٤-١٩٥١

ذهبت الى النادي ليلا، حدثت مشادة بين منشي كاشي، واحمد حامد الصراف، اعتدى الصراف على منشي، لأنه يراه أقل منه شأناً، قلت له: إن ملاعبك هو مناظرك، اي نظيرك فإذا جالست شخصاً، ولعبت معه اي نوع من انواع اللعب فلا شك انك رضيت ان يكون نظيرك، وانتما متساويان في الحقوق وفي كل شيء، فلم يعجبه كلامي.

٢٥-٤-١٩٥١

سافر نصف يهود العراق تقريباً إلى إسرائيل، والفراغ ظاهر في بغداد،لأنهم كانوا يشكلون مجموعة كبيرة في التجارة وغيرها.

الاحد ١-٧-١٩٥١

جئت الى المحكمة ومعي منشي كاشي، وهو متذمر من حالتهم، وسوء المعاملة التي يجابهوها من الناس باعتبارهم يهوداً رغم صيانة حقوقهم في الدستور العراقي باعتبارهم مواطنين لا فرق بينهم، وبين اي عراقي اخر من دين اخر، ولكن لا إمكان لتفهم الناس بذلك فأنهم يعتبرونهم اعداء الاسلام رغم رعويتهم العراقية، فالاجدر بالحكومة ان تتخذ ما يلزم من قرار حاسم في الموضوع، اما ان تطمئنهم فتصدر بياناً يؤمنهم على اموالهم وارواحهم، وان يعاقب من يعاملهم معاملة سيئة وهذا حسن، والقصد من هذه المعاملة السيئة هو مصّ دمائهم، والاستيلاء على مابقي لديهم من أعلاق.

الاربعاء ١٩-١-١٩٥٢

جئت الى الدائرة، وكان معي منشي كاشي، إن الناس في العراق تعودوا على جفاء اليهود العراقيين حتى الذين كانت تربطهم بهم صداقة متينة، إنني أمقت هذا ، لأن صديقك مهما كان دينه لا مجال لك ان تنفر منه، وتجفوه إلا إذا بادر منه ما يستوجب ذلك من قلة وفاء او غدر او غيره، اما هذه الحالة فليس لك ان لاتمد يد المساعدة لصديقك اليهودي بسبب وجود عداء بين العرب، وبين اليهود، فهذا امر سياسي لا دخل له بامور الصداقة.

الاحد ٥-٩-١٩٥٥

زرت صباحاً جاري اليهودي ابا نسيم أهنئه بعيد المظلة.

السبت ٥-١٠-١٩٥٥

لم ازر اصدقائي من اليهود اليوم، لأن عندهم صوماً، يصومون في كل سنة من هذا اليوم.

الجمعة ١١-١٠-١٩٥٥

زارني جيراني، واصدقائي من اليهود بمناسبة عيد المظلة (العرازيل).

الخميس ٢٦-١-١٩٦١

بينما كنت احاول الخروج من البيت اخبرني الاخ عبد الله عبد المجيد بالتليفون أن احد اصدقائي اليهود قد توفي، فذهبت الى بيته، وشيّعت جنازته إلى محل ناءٍ (الشماعية). ان المقبرة اليهودية التي هي في بغداد قد استولت عليها الحكومة لتجعلها دار إذاعة .

الخميس ٢٦-١٠-١٩٦١

أنجزت اعمالي وهي كثيرة جداً، جاء سكرتير الحاخام يعتذر عن قضية بيت منشي كاشي، وهي ان منشي كان قد بنى كنيسًا لليهود، ومشتمل الى جواره، وكانت زوجته قد راجعت الحاخام بشأن اخذ المشتمل، والاستفادة منه فرفض الحاخام، وعرقل الامر، ثم جاءت دائرة الوقف تطالبها باجرة العرصة وهي(٣٦٠) ديناراً رغم انها لم تستفد من البناء، وقد كلفت الحاخام ان تسد الطائفة الاجرة، لأنها هي المستفيدة من البناء، فرفض ايضاً فأضطررت ان انهي الحديث مع السكرتير، لأنه ظلم لهذه الارملة ذات الايتام.

الاثنين٩-٤-١٩٦٢

أنجزت اشغالي مبكراً، جاء يوسف الكبير، وكان رفيقي في المدرسة، لم اره منذ مدة طويلة، ترك الاشتغال بالمحاماة، بل ترك الدينا، وانزوى للتقشف، وهو فيسلوف على الطريقة الهندية، أستأنست به وتحدثنا طويلا.

السبت٣-٨-١٩٦٣

زرت الحاخام ساسون خضوري، وهو شيخ طاعن في السن، اجد في محادثته ما أسرّي به عن النفس من هموم، لأنه عرك الدهر، وذاق حلوه، ومره، يعرف التاريخ، وأصول الديانات، ويحفظ كثيراً من الروايات التاريخية.

الاحد ٢٩-٣-١٩٦٤

زرت بعض اليهود الذين اعرفهم بمناسبة عيد الفطير، ومنهم الحاخام ساسون خضوري.

الثلاثاء ٢٢-٩-١٩٦٤

اليوم عيد المظلّة اليهودي، زرت الحاخام ثم زرت جاري اليهودي ابراهيم شماس.

الجمعة ١٨-٣-١٩٦٦

سمعت عصراً ان حفيد جاري اليهودي (ابو نسيم) صديق ابني دهسته سيارة فمات، ذهبت الى داره اعزيه، تألمت كثيراً.

السبت٥-١١-١٩٦٦

زرت صديقاً لي هو المحامي صالح قحطان. رجل عرك الدهر فذاق حلوه، ومرّه/ وجدته يائساً من إصلاح امور الدينا مادامت اطماع الحكومات غير محدودة.

السبت ٢٦-٨-١٩٦٧

زرت الحاخام ساسون خضوري ، وهو يبلغ من العمر تسعين عاماً. تمتع بصحة جيدة، وعقل سليم، وسمع لا غبار عليه. عركه الدهر، يقبلني كلما رآني.

السبت ٢٨-١٠-١٩٦٧

اخبرني الحاخام ساسون خضوري ان الحكومة قررت إغلاق جمعيتين يهوديتين، الاولى تهدف إلى دفن موتى اليهود الفقراء، وغيرهم، والثانية جمعية تدريس التوراة للراغبين في دراستها، وهم لا يزيدون عن عشرة. واستولت على اموالها، وسيارة نقل الموتى وتابوتين، ثم اعادتهما للحاخام، انهم يتشددهم مع اليهود يسيئون الى سمعة العراق، فاليهودي العراقي هو عراقي قبل كل شيء.

السبت ٢٩-١٢-١٩٦٧

زرت الحاخام في بيته، وجدت اليهود خائفين من تضييق السلطة الحاكمة عليهم، ومنعهم من التمتع بحقوقهم كمواطنين، وحُرموا من اي شغل في البلد.

السبت١٨-٥-١٩٦٨

زرت جاري اليهودي، وجدته مريضاً، كما وجدت اليهود جميعاً يشكون من سوء المعاملة التي يلاقونها من اولياء الامور، اخرجوهم من الوظائف، منعوهم من الاشتغال في الصيدلة، والمحلات التجارية، ومنعوا عنهم الاستراد، وانهم يشكون الفقر لولا بقية ما ادخروه من مال للايام السود.

السبت ٢٢-٦-١٩٦٨

زرت بعض اصدقائي ومنهم الحاخام، عنده معلومات قرن كامل عن العراق، وعن احداثه، وعن العائلات العراقية والاسلامية، رغم شيخوخته لا يزال يتذكر الحوادث فيرويها باتقان. ان الحكومة الحالية الحاضرة تقسو على اليهود وتظنهم رتلاً خامساً لليهود في اسرائيل. قد يكون في اليهود من يتجسس، ولكن على الحكومة ان تحاسب هذا الشخص وتعاقبه اذا ثبتت التهمة عليه، لا ان تعاملهم جميعاً باعتبارهم جواسيس لأن فيهم الصالح والطالح.

السبت١٥-٣-١٩٦٩

زرت جاري اليهودي فأخبرني ان احد اصدقائه الذين امروهم بترك بلدة الديوانية، والمجيء الى بغداد، والتخلي عما يملكونه من معامل طابوق وغيرها، جاء فسكن بغداد. لعله عزت ساسون معلم، وارسل ابنته البالغة من العمر (١٣) سنة الى مدرسة الراهبات تدرس، ويوم الخميس الماضي جاءت امرأة تطلب مواجهتها في المدرسة زاعمة انها مرسلة من قبل اهل البيت، فلما خرجت اليها اركبتها سيارة فيها رجال فخطفوها.

السبت ١٩-٤-١٩٦٩

زرت صديقي الدكتور منير، وجاري اليهودي خلاصجي، والحاخام، ولا اريد ان ينزعجوا مني اذا انقطعت عن زيارتهم بسبب الاحوال العامة.

الاثنين ٢-٦-١٩٦٩

أصدرت الحكومة قانونا يخوّل اليهود بيع أموالهم غير المنقولة، وبالسماح لهم بالحصول على جوازات سفر، وأظنه تدبيراً جيداً للتخلص من اليهود، لأنهم اصبحوا مصدر شك للحكومة.

الخميس٩-١٠-١٩٦٩

سمعت ان الحكومة أعدمت يهوديا، ومسيحيين اثنين واربعة مسلمين بتهمة التجسس، لم تنشر اي بيان عن ذلك كأن الرأي العام العراقي لا اهمية له.

الاثنين ٢٤-٥-١٩٧١

مات الحاخام ساسون خضوري صباح اليوم، ولم استطع ان اشترك في تشييع جنازته بسبب المرض، وكان رجلا دمثا، خلوقا، يدافع عن رعيته جهد إمكانه، رحمه الله.

الاربعاء ٣-١٢-١٩٧٥

وصلتني مذكرات أستاذنا بمدرسة داود سمرة، قرأتها، ولد من ابوين فقيرين لا يملكان ما يقتاتان به. فشق طريقه بجهد عظيم، ودرس في استانبول عاصمة الامبراطورية العثمانية، وقد نجح نجاحا باهراً، وربى اولاده، وقد مات قبل سنوات، ترك عائلة لها مكانتها في بغداد، وقد ترك نووه العراق، وقد زاملته بمحكمة التمييز فوجدت فيه الرجل العادل رحمه الله."

من أخبار العراق في العشرينيات

اعداد / المدى

مد انابيب المياه الى المناطق السكنية

تزويد الشوارع المهمة في بغداد باعمدة الانارة

× يتدارس عدد من المحامين مسألة التقدم الى وزارة العدلية يطلب تأسيس نقابة خاصة بهم.
× تمكنت امانة العاصمة في الآونة الاخيرة من مد الاسلاك الكهربائية في عدد من شوارع بغداد المهمة.
× بناء على استقالة فخر الدين افندي الجميل من عضوية هيئة التفتيش الانتخابية فقد حل محله احمد افندي الشويس.
× قررت الحكومة من قانون يعدل الاصول الحالية لاستيفاء الويركو (ضريبة الاملاك) من المسقفات يجعل الرسوم درجات حسب حالة هذه المسقفات.
× من المؤمل ان تباشر قريبا شركة نيرن بنقل المسافرين بين بغداد وبيروت ودمشق.
× طلبت امانة العاصمة من الوزارة الدفاع ان يستأنف اطلاق مدفع الزوال (الغروب) كل يوم على العادة على ان تؤدي الامانة المصاريف المقتضية لذلك.
× غادر بالطائرة الى دمشق وبيروت والرملة السرجون ساموند قائد قوة الطيران البريطاني في العراق للقيام بزيارات رسمية لتلك البلدان.
× ارتفعت مناسيب نهر الفرات وقد سبب ذلك ارواء كثير من الاراضي التي بقيت مدة طويلة من الزمن محرومة من المياه.
× تبرع مصطفى جلبي الصابونجي بانارة المدارس الليلية للاميين في مدينة الموصل.
× قسم قضاء بغداد الى ثماني مناطق انتخابية اربع في الرصافة واثنتين في الكرخ وواحدة في الاعظمية والاخرى في الكرادة.
× سافر الى الهند اسماعيل نامق افندي مامور الانضباط العسكري في العاصمة لغرض دراسة حالة مدرسة الخيالة في سوكر وهي من ارقى مدارس الخيالة في العالم.
× حدث زلزال عنيف في قصبة سنجار وقد تصدعت بسبب ذلك جدران اكثر دور هذه القصبة.
× قرر مجلس ادارة لواء بغداد عقد مقاولة مع فهمي افندي دولت لمراقبة التنوير الكهربائي الذي تديره البلدية.
× عين روبين افندي بطاط نائب رئيس محكمة بداءة بغداد نائبا لرئيس محكمة بداءة البصرة ومحي الدين الاعرجي حاكم الصلح السيار في الموصل عضوا في محكمة بداءة الحلة.
× افتتح في الميدان ببغداد فندق فخم جديد باسم اوتيل ماجستيك بجوار السينما العراقي.
× قررت وزارة العدلية تعيين عبد الرحمن افندي المطير مديرا لدائرة الايتام في البصرة.
× علم ان مجموع نفوس قضاء بغداد الذين تحق لهم المشاركة في الانتخابات العامة ٤٠٧٢١ شخصا.
× اعلنت امانة العاصمة ان مراكز لتوزيع الماء المعقم قد اسست في المحلات التالية: الفضل وبني سعيد وباب الشيخ وطاطران والصدرية وابو سيفين والكريمات والفحامة والدورين والجعيفر والشواكة.
× استقال الدكتور افلاطون من وظيفته كطبيب للبلدية.
× تدور في الاندية شائعة عن جريان المفاوضات بشأن ربط وحدات الليفي بالجيش العراقي وهذه المسألة كانت موضوع البحث بين الحكومة ودار الاعتماد منذ امد بعيد.
× تشتغل مديرية النفوس العامة الان في وضع الاسس واحضار النظامات اللازمة لدائرة النفوس والتسجيل وتنظيم الدفاتر وهي تعرب الان القوانين وينتظر ان تبدا المديرية بتشكيل فروعها في الالوية وتبدأ بالتسجيل بعد المصادقة على الميزانية.
وصل الى الحلة الوف من الزوار قاصدين كربلاء وكان قدوم اكثر الوافدين زرافات زرافات مشيا على الاقدام وقد اوعز متصرف الحلة بضرب المضارب لهؤلاء الزوار للبيت في الحلة لاراحتهم وامر بارسال قلة من الشرطة الخيالة لتأمين الامن للمسافرين بين الحلة وطويريج كما اوعز الى رئيس البلدية في وضع حبوب من الماء على طول الطريق المذكور لارواء المارين والعابرين.
× فكر هوبي وهو المعروف بذوقه السليم في تنظيم المقاهي على القواعد العصرية بفتح محل خاص بالسيدات مجند بكل ما يؤول لراحتهم ونزهتهم ففتحه في منشية دجلة بجانب ليالي الصفا في جانب الكرخ في مكان طليق طيب الهواء وفيه مرطبات فاخرة وشرابات لذيذة ودوندرمة متنوعة.
× ورد على مخزن سلمان الحاج علي عطرجي بجانب خان الرماح كمية محدودة من الطرابيش الرشادية المفتخرة – الفين النمساوية – وخدمة للعموم جعل سعرها ٣ ربيات لكل طربوش.
× عاد من ايران الوجيه مناحيم افندي دانيال ونجله عزرا افندي.
× صدرت الارادة الملكية بتعيين الشيخ محمد الشيخ عباس الاعسم قاضيا للمحكمة الشرعية في قضاء النجف الاشرف.

واجب الصحافي اظهار الحقائق للناس

واجب الصحافي العراقي في عمله ومبدئه ان يظهر هذه الحقائق امام الانظام ولا ينكر الواقع لئلا تكذبه شواهد الحال ولكنه في الوقت عينه يعرف واجبه فيصدع بالحق ويرشد الامة الى طريق الخلاص ويكون بذلك قد ارضى سلطان الحقيقة وادى واجبه واراح ضميره – اذا كان له ضمير – واكتسب رضي نفسه وقومه اما من يفت في عضد الاماني الوطنية ويهين شرف الوطن ويستهزئ بامال الامة ومطامحها ويعتدي على جهودها وضحاياها العظيمة في سبيل الاستقلال التام قائمه الظلم وتقضي المروءة ان نمحق افكاره محقا، وما انا ولدسائس السوء تنفث في مجتمعنا ولاغراض الاعداء تنفس في صحفنا فقضيتنا ناجحة نجاحا اكيدا اذا نحن تعهدناها بالاهتمام والعناية اللازمين وهذه القضية تتلخص في كون للعراقيين بلاد هي بلادهم وبلاد ابائهم وجدودهم قبلهم وانهم هم اصحاب هذه البلاد المسيطرون فيها وناموس الحياة يحتم ان يستقلوا بشؤون بلادهم ولا تكون هناك بد تعلوا على ايدي ابناء البلاد في سياستها وادارتها واستثمار منابع ثرواتها والتنهم بكل الخيرات فيها.
× صدرت في الكاظمية صحيفة المعارف لصاحبها عبد الملك افندي حافظ ومديرها ومحررها سلمان افندي الفواني وقد طالعنا من مقالاتها الطبية ما دفعنا الى ان نوعمل لها

المس بيل

ناجي شوكت

الحياة الطويلة والنجاح باطراد.
× ستفتح عن قرب ادارة شرطة لواء الموصل صفا مدرسيا في دائرتها لتعليم افراد الشرطة الاميين وغيرهم القراءة والكتابة ومبادئ الدروس القانونية والصحية اما حصص الدروس فستوزع على المفوضين حسب اختصاص كل منهم.
× حكم على سلمان بن محمد بالحبس الشديد لمدة اربعة اشهر لسرقته الحياصة القضية العائدة الى جواد بن كاظم.
عزمت وزارة الاوقاف على انشاء مكتبة عامة في النجف الاشرف تسميها الخزانة الحيدرية على ان تكون كتب الروضة المقدسة من جملة ما يعرض فيها ولهذه الكتب قيمة تاريخية عظيمة.
× سافر امس في سيارات شركة الحصى نخبة من طلابنا الى الخارج للدراسة وهم عبد الفتح افندي ابراهيم لدرس التاريخ والطبيعيات في بيروت وابراهيم افندي خضر للاختصاص في الحقوق بانكلترا وتوفيق افندي صالح واحمد مختار افندي للاختصاص في الهندسة في انكلترا وسافر الى باريس سليم افندي مكي لتحصيل الطب رافقتهم السلامة في الحل والترحال.
× قدم العاصمة حضرة الشيخ مظهر الحاج صكب نائب الديوانية المحترم.
× رفعت وزارة الداخلية حضرة جميل بك المدفعي متصرف لواء المنتفق الى الدرجة الاولى.
× عين احمد افندي الاسحاقي مديرا لناحية ام حلانة في لواء الكوت وهو من خريجي مدرسة الحقوق هذا العام.
× قبض على ثلاثة اشخاص من المهتمين ببيع الحشيشة والافيون بدون اجازة.
× حول السيد محمود افندي المدرس مدير تحريرات لواء الديوانية الى مديرية تحريرات امانة العاصمة.
× عاد من ايران الوجيه مناحيم افندي ونجله عزرة افندي.
× غادر الى الحلة الفيحاء داود افندي وهبي حاكم الجزاء فيها.
ماهو سر تدهور العراق؟
المظاهر والاسماء وحدها لا تبني البلاد.
ليس من ينكر ان العراق اليوم له مظاهر استقلالية اذا سمع بها الانسان البعيد عنه يعتقد حقا ان فيه شعبا سعيدا يتمتع بحرياته وبحكم البلاد باراداته وانه سائر في طريق التقدم والفلاح ولكن الذي يشعر بحالته المؤلمة هو ابن العراق البائس الذي الم بقليل من العلوم السياسية والذي له روح تترفع عن الدنايا ووجدان نزيه وعقل ثابت وليس يخاف انه لا ينقص العراق من المظاهر والاسماء الاستقلالية غير السلطة الوطنية الحقيقية المتمثلة بارادة الشعب وهي دعامة الاستقلال السياسي بل هي نفسه في العراق حكومة وطنية ومجلس امة يشرع القوانين ويبرم الميزانية بعد ان يفحصها وتعرض عليه المعاهدات وفي المجلس احزاب تتجادل وتتطاحن وفي العراق موظفون وطنيون وقضاة وغير ذلك وفي العراقانون اساسي وفي العراق تشكلات مدنية على الطراز الحديث يمكنك اذا استعرضت كل ذلك وبحثت معهم عن سر تدهور العراق وفقدان الاستقلال فيه يجيبونك بصوت خافت وبلسان واحد الانتداب! الانتداب!.
× قررت وزارة الداخلية الغاء ناحيتي البطيحة والازيرج.
× اسفرت انتخابات المنتجين الثانويين لمحلات الجعيفر والتكارتة وخضر الياس والست نفيسة عن فوز عبد الرزاق افندي منير وعبد المجيد التكريتي وياسين جلبي التكريتي وياسين جلبي الحاج قدوري وعبد الجبار افندي الحاج خضير وتوفيق افندي الوسواسي ومنير افندي القاضي وعلي افندي السامرلي.
× قدمت مضبطتان الى هيئة التفتيش رشح فيها المحامي عبد الرزاق افندي حلمي الرويشدي وعزت افندي البكباشي العضوية المجلس التاسيسي العراقي.
× قدم الى العاصمة ناجي بك شوكت متصرف لواء الحلة وكذلك قدم اليها عبد المجيد بك الشاوي متصرف لواء الديلم.
× عين يوسف جميل افندي خوشاية نائب عضو في محكمة بداءة بغداد بدلا من نعمة الله افندي عمانوئيل المستقيل.
× عادت الى العاصمة الخاتون المس كروتولد بيل بعد ان قضت بضعة اشهر في لندن.
× اعلن امين العاصمة عن اجراء التطعيم الاجباري ضد الهيضة في كافة مناطق بغداد.
× عين عبد المجيد افندي فؤاد مديرا لناحية البدير التابعة للواء الديوانية.
× صدر الجزء الرابع من كتاب كناس الشوارع لمؤلفه ميخائيل تيسي ويباع بسعر ثماني انات في المكتبة العصرية بسوق السراي.
× نقل السيد خطاب افندي قاضي تكريت الى مثل وظيفته في الناصرية.
× شبت النار في دار الدكتور سبنسر في شارع النهر في رأس القرية وقد التهمت النيران القوية كافة محتويات الدار.
× بلغ عدد نفوس المنتخبين الاولين في لواء ديالى ١٢٨٩٨ شخصا.
× التأمت في دائرة بلدية الموصل الهيئة التفتيشية وقررت تقسيم مدينة الموصل الى عشر مناطق انتخابية يترأس كل منطقة منه عضو من اعضاء الهيئة المذكورة حسب القرعة.
× عين الشيخ شكر الله الشيخ احمد عضوا في مجلس التمييز الشرعي ببغداد.
× اعلن عن حدوث المزيد من الاصابات بمرض الهيضة في بغداد وفي المناطق الجنوبية من العراق.
× استقال قاسم افندي العلوي المدرس بالمدرسة الثانوية وعبد الستار افندي المدرس في مدرسة العوينة وطه افندي الامام المدرس في مدرسة الحلة من وظائفهم.
× تعرض في سنترال سينما الواقعة في الشارع الجديد (الرشيد) قرب جسر مود (الاحرار) الفلم الامريكي العاصفة بطولة جارلس هوجبسن.
× عين جعفر جمدني قاضيا ببغداد والشيخ محمد جعفر قاضيا بلواء البصرة والشيخ محمد طاهر السماوي قاضيا لقضاء النجف الاشرف.
× بناء على وقوع اصابات كثيرة بمرض الهيضة فقد ابطل السفر بالقطار بين بغداد والشرقاط الى اشعار آخر.
× استقال فؤاد بك الدفتري متصرف لواء بغداد من وظيفته وقد اسندت المتصرفية بالوكالة الى صبيح بك نشأت امين العاصمة.
× بعث الينا فريق من العمال يكتب يبسطون فيها شكاياتهم من سير شركة النفط التركية في مسألة اختيار العمال ويقول الشاكون ان الشركة تقيم العراقيل في طريق استخدام العمال العرب خاصة بينما تستخدم الاعاجم.
× اصدرت مديرية المطبوعات بيانا جاء فيه: ان بلدية الموصل اوفدت امين افندي الافغاني مدير نفوس لواء الموصل ليضع باسم الموصل اكليلا فوق ضريح المرحوم المس كرترود بل وقد وضع المندوب المشار اليه الاكلية والقيت كلمات بالمناسبة.
× علمنا ان امانة العاصمة مهتمة لامر تبليط الشارع الجديد وقد شرعت في فحص وتحليل الاحجار التي جلبتها بواسطة مهندسيها لهذا الغرض فعسى ان يبدأ العمل بالشارع الجديد – الرشيد – قبل موسم الشتار والامطار.
× قررت لجنة اسعاف منكوبي الفرق دفع اكرامية ٦٠٠ روبية لام واخوات صادق روؤف العامل الميكانيكي المستخدم في شركة داود ساسون والذي غرق اثناء تمديد الاسلاك في جانبي الثغرة التي حدثت في سدة نجيب باشا وذلك يقصد سدها.
× صدر الاعلان الاتي عن وزارة المعارف: تحتاج وزارة المعارف الى رئيس لديوانها يحسن اللغة العربية والانكليزية بصورة تمكنه من الكتابة الصحيحة بها وان يكون من الدرجة الاولى فمن يرى في نفسه الكفاءة فليراجع وزارة المعارف.
× قدم العاصمة الفاضل حسن افندي النائب حاكم منفرد لواء كركوك الذي نقل لعضوية حاكمية الموصل.
× كتب الشاعر اكرم محمد كلمة في جريدة نداء الشعب يدافع فيها عن الزهاوي وشعره عندما تعرض لحملة شنها عليه في جريدة العراق اديب كاتب.
عين الملا محمد صديق افندي حاكما للصلح وقاضيا للقضاة عقرة بدلا من احمد حمدي افندي المحال على التقاعد.
٢٨ تموز ١٩٢٦
جرائد الشعب والاستقلال والعراق
غربان السوء لم تستطع النعيق فقد اخرسها العالم والحقيقة والحاجة
في العراق اليوم نهضة نسوية مباركة قامت بفضل تآزر المتعلمين والمهذبين من الجنسين وقد قوبلت هذه النهضة باشد ضروب المعارضة والتشنيع ولكن النهضة كانت سيلا جارفا فلم يتناول التعليم فتيات المهذبين ذوي العقول النيرة بل تناول حتى فتيات المعممين والمرتجبين وهذه نهضة وهذا انتصار اقل ما يقال فيهما انهما مقدمة لحركة اجتماعية خطيرة ستبحث الاصول القديمة العادات البالية التي رسخت في عصور التأخر والانحطاط ونطلق العراق من اغلال التقاليد والخرافات. انا لنحمد الله ان غربان السوء في العراق لم يستطيعوا ان ينعقوا فوق جدران المدارس والمعاهد النسوية فلقد اخرسها العلم والحقيقة والحاجة وشعور معالم طبقات الشعب بواجبها الوطني والمدني واذا كان لتلك الاغربة من صدى فهو يتردد فوق اجداث القديم والاقدمين ولتشمل الجزيرة العربية والخليج العربي. وفوق هذا فإنه – باعتقادي – من أبرز الدبلوماسيين الذين اهتموا بالصحافة، وعملوا فيها. فعلى سبيل المثال كان نجدة فتحي صفوة – ولسنوات طويلة – يكتب حقلا أسبوعيا بعنوان "خواطر وأحاديث في التاريخ" في مجلة "ألف باء" البغدادية، وعمودا ثابتا بعنوان "هذا اليوم في التاريخ" في جريدة الشرق الأوسط

نجدة فتحي صفوة ..
الدبلوماسي العراقي عاشق الوثائق

د. إبراهيم خليل العلاف

من أوائل الباحثين العراقيين الذين استفادوا من الوثائق البريطانية
عرفته أول مرة، من خلال كتاباته وتوثيقاته لجوانب من تاريخ العراق المعاصر، وتعمقت معرفتي به، عندما ذهبت إلى لندن صيف ١٩٧٨ للبحث عن مصادر أطروحتي للدكتوراه عن "تطور السياسة التعليمية في العراق بين ١٩١٤-١٩٣٢". واتصلت به هاتفيا حال وصولي فقدم لي الرجل المشورة بشأن استخدامي لوثائق دار السجلات العامة في لندن، ومكتبة وزارة الهند.
ومنذ ذلك الوقت، وأنا أتابع ما يكتبه وينشره، وأعده كاتبا ثقة، ومدونا معتمدا، ومؤرخا نزيها له اطلاع كبير بتاريخ العراق في العهدين الملكي والجمهوري، ويدعم كل هذا خلق طيب، وتواضع جم، وقدرة على مد يد العون لمن يطلب العون وخاصة من طلبة الدراسات العليا. ومما ساعده على ذلك سكنه في بريطانيا، وتمكنه من اللغة الانكليزية، وخبرته في مجال العمل السياسي والدبلوماسي للعراق المعاصر ومعرفته بعدد كبير من السياسيين والدبلوماسيين العراقيين والبريطانيين وغيرهم.
نجدة فتحي صفوة دبلوماسي عراقي ومؤرخ. وقد عده كذلك اتحاد المؤرخين العرب في أدبياته، وفي تعامله الرسمي معه.
ولد في مدينة بغداد سنة ١٩٢٣ وأكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة والثانوية فيها ثم التحق بكلية الحقوق العراقية وأكمل دراسته العليا في "مدرسة الدراسات الآسيوية والأفريقية في جامعة لندن". يتقن لغات عديدة. ففضلا عن العربية، والتركية، والانكليزية، ويتقن الفرنسية وله إلمام باللغة الروسية. وقد اتجه منذ شبابه نحو العمل الدبلوماسي وقضى أكثر من ربع قرن من عمره في سفارات العراق في عمان والقاهرة وجدة وأنقرة وباريس وواشنطن ولندن وموسكو. وشغل منصب وكيل لمساعد وزير الخارجية العراقي بين سنتي ١٩٥٨-١٩٥٩. وبعدها أصبح مديرا عاما للدائرة السياسية في وزارة الخارجية ١٩٦٦-١٩٦٧. وفي سنة ١٩٦٧ عين سفيرا للعراق في الصين لكنه فضل الاستقالة والتفرغ للبحث والتأليف وإلقاء المحاضرات في ميداني الدبلوماسية والتاريخ في عدة كليات ومعاهد علمية داخل العراق وخارجه وأخيرا قرر الانتقال نهائيا للعيش في لندن منذ سنة ١٩٧٩.
عشق الوثائق، وحمل هم التوثيق، وأحب الكتابة التاريخية، ويعد من أوائل الباحثين العراقيين الذين استفادوا من الوثائق البريطانية في الأرشيفات المختلفة وخاصة تلك الموجودة في "كيو كاردنز" و"بلاك فرايرز" في لندن. ولم يكتف بالاطلاع على الوثائق وسبر غور أسرارها، بل قام بنشر الكثير منها.
ولم يقتصر على الوثائق التي تتناول العراق، بل وسع نطاق اهتماماته لتشمل الجزيرة العربية والخليج العربي. وفوق هذا فإنه – باعتقادي – من أبرز الدبلوماسيين الذين اهتموا بالصحافة، وعملوا فيها. فعلى سبيل المثال كان نجدة فتحي صفوة – ولسنوات طويلة – يكتب حقلا أسبوعيا بعنوان "خواطر وأحاديث في التاريخ" في مجلة "ألف باء" البغدادية، وعمودا ثابتا بعنوان "هذا اليوم في التاريخ" في جريدة الشرق الأوسط اللندنية. ومما ساعده على ذلك براعته الأدبية، واللغوية، واهتمامه بالأدب العربي منذ حداثة سنه، حتى أنه نشر كتابين، وهو لما يزل طالبا في كلية الحقوق ببغداد وهما: "مذاهب الأدب الغربي" ١٩٤٣ و"إيليا أبو ماضي والحركة الأدبية في المهجر" ١٩٤٥.
كما سبق له العمل بتدريس مادة اللغة العربية والأدب العربي في كلية بغداد الخاصة التابعة للجزويت الاميركان لمدة سنتين قبل التحاقه بوزارة الخارجية في سنة ١٩٥٥. ولحد العام ١٩٩٤ فإن لنجدة فتحي صفوة كما كبيرا من المقالات في الصحف والمجلات العراقية والعربية والأجنبية بلغ قرابة ٥٠٠ بحث ودراسة ومقالة.
كتب عن تجربته في الكتابة الصحفية لمجلة "ألف باء" يقول: "تفضلت مجلة ألف باء في شهر نيسان سنة ١٩٨١ فطلبت إلي أن اكتب لها حقلا أسبوعيا يتناول الموضوعات التاريخية وما يدور حولها، فقبلت هذا العرض بسرور، واتفقنا على أن يكون عنوان الحقل (خواطر وأحاديث في التاريخ). وقد تركت لي رئاسة تحرير المجلة الحرية الكاملة في اختيار الموضوعات التي أتناولها ولكنها اقترحت – ولم تشترط – العناية بصورة خاصة بتاريخ العراق الحديث والمعاصر الذي تعلم أن لي به عناية، وأنه ينال اهتماما متزايدا من القراء ...".
نال نجدة فتحي صفوت العديد من الأوسمة والتكريمات ومن ذلك أنه يحمل وسام المؤرخ العربي من اتحاد المؤرخين العرب و"وسام الاستقلال" من الدرجة الثالثة ١٩٥٠ من المملكة الأردنية الهاشمية. وقد أسهم في ندوات ومؤتمرات علمية كثيرة وقدم أوراقا فيها.
لنجدة فتحي صفوة، مؤلفات عديدة منها كتبه: "اليهود والصهيونية في علاقات الدول الكبرى" وهو من منشورات وزارة الخارجية العراقية ١٩٦٧، "العراق في مذكرات الدبلوماسيين البريطانيين" وقد نشرته المكتبة العصرية ببيروت ١٩٦٩ و"حكايات دبلوماسية" دار النهار ببيروت ١٩٧٠ و"بيروبيجان: التجربة السوفيتية لإنشاء وطن قومي يهودي" ونشره مركز الدراسات الفلسطينية ببغداد ١٩٧٣ و"الماسونية في الوطن العربي" وهو من منشورات مركز الدراسات العربية في لندن وباللغتين العربية والانكليزية ١٩٨٠ و"جهاز الدبلوماسية الإسرائيلية وكيف يعمل" وقد نشره مركز الدراسات الفلسطينية ببغداد ١٩٨٣ و"خواطر وأحاديث في التاريخ" مطبعة الشبيلية ١٩٨٤ و"العرب في الاتحاد السوفيتي ودراسات أخرى" مكتبة آفاق عربية ١٩٨٤.
كما اهتم صفوة بنشر مجاميع من الوثائق ولعل عمليه الكبيرين: "العراق في الوثائق البريطانية ١٩٣٦" و"الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، ويقع في ١٢ جزءا من أبرز ما نشر وقد سهل ذلك للباحثين والمؤرخين كثيرا من حيث أنهم أصبحوا على مقربة شديدة من الوثائق البريطانية غير المنشورة والتي لم تكن متاحة لهم من قبل.
كما كرس جهده – ولسنوات – من أجل تشجيع السياسيين على نشر وثائقهم وقدم خبرته لهم في هذا المجال، ومن ذلك أنه نشر وحقق كتاب "وجوه عراقية" للسياسي العراقي توفيق السويدي والذي تولى رئاسة الوزراء أكثر من مرة. كما نشر "مذكرات رستم حيدر"، وكتاب "خواطر وأفكار" للشاعر العراقي الكبير معروف عبدالغني الرصافي، وكتاب "مرآة الشام" للسياسي السوري عبدالعزيز العظمة".
ولم تكن عنايته بنشر الوثائق مقتصرة على الوثائق البريطانية عن العراق، بل اهتم كذلك بالقضايا العراقية ونشر كتابا بعنوان "من نافذة السفارة : القضايا العربية في الوثائق البريطانية" في لندن سنة ١٩٩٣.
كان نجدة فتحي صفوة، يؤكد في كتاباته التاريخية على ضرورة العودة إلى المظان الأصلية فلا تاريخ بلا وثائق. ولم يقتصر على استخدام الوثائق في كتاباته، بل اهتم بالمذكرات الشخصية، وكتب الرحلات، والصحافة وعدها مصادر مهمة لا بد من الاستفادة منها. ففي ما يتعلق بكتب الرحلات – على سبيل المثال – يقول إن كتب الرحلات تحتل في ميدان الفكر والثقافة مكانة خاصة بسبب تعدد جوانبها السياسية والأدبية والجغرافية والآثارية والجيولوجية والانثروبولوجية، وهي على هذا الأساس مصدر مهم من مصادر التاريخ.
وبشأن الوثائق عموما، والوثائق البريطانية خصوصا يذكر صفوة بأهميتها وضرورتها عند إعادة كتابة تاريخ العراق الحديث والمعاصر، ولكنه يستدرك ليدعو الباحثين وطلبة الدراسات العليا إلى الاعتناء كذلك بالوثائق العراقية الوطنية في كتابة تاريخ بلادهم خاصة، وإنها تعبر عن "وجهة نظرنا بينما تعبر الوثائق البريطانية عن وجهة نظر أجنبية وهي مكتوبة من زاوية مصالح هي غير مصالحنا ...".
ويقف ليضيف إلى ذلك قوله إن بريطانيا ارتبطت بالعراق منذ أكثر من أربعة قرون وان في دور أرشيفها الآلاف من الوثائق التي تخص العراق ولاغنى لكل باحث عن الرجوع إليها وفيها مادة أساسية لمن يدرس تاريخ العراق الحديث. ولا شك أن هناك – عن هذه الحقبة – كثيرا من الوثائق العراقية الرسمية منها والشخصية، ومذكرات، وأوراق تعود لرجال العراق وزعمائه، وتقارير مختلفة محفوظة في أضابير بعض الوزارات والبلاط الملكي. ومن الواجب الرجوع إليها بطبيعة الحال، بل أنه من الواجب الرجوع إلى أية وثيقة، وبأية لغة كتبت، وأينما وجدت، وحيثما حفظت، لتكون الدراسة التاريخية مستوفية شروطها الضرورية.

رفائيل بطي يكتب عن الرصافي

رفائيل بطي

معروف الرصافي

زار زميلنا في التحرير "حارث طه الراوي" نائب بغداد الاستاذ رفائيل بطي في منزله وطرح عليه ثلاثة اسئلة عن فقيد العراق والامة العربية شاعر الشعب الكبير المرحوم معروف الرصافي بمناسبة ذكراه السابعة المصادفة في ١٦ اذار الجاري. وقد اجاب بصراحة تامة فابدع واجاد ، ولا غرابة في ذلك لانه لايجار في خبرته عن ادبائنا وشعرائنا المعاصرين فضلا عن انه كان صديقا حميما لشاعر الشعب.

ومن الجدير بالذكر ان الاستاذ بطي يعكف الآن على تأليف كتاب عن حياة الرصافي وشعره، سيكون من غير شك مرجعا مهما للادباء والنقاد.

س١: ما هي مكانة الرصافي بين شعراء العربية المعاصرين؟

الجواب: ان تعبير المعاصرين تعبير واسع شامل ليس من الميسور تجديده وكانك تقصد شعراء العصر الحاضر الذي يبتدأ في مطلع القرن العشرين.

لقد نبغ في هذا العصر جماعة من الشعراء في مصر والشام، واقصد بالشام سوريا ولبنان وفلسطين كما كان يسمى مجموعها قبل الحرب العالمية الاولى ، كما نبغ شعراء في العراق.

وبديهي اننا عندما نريد ان نوازن بين شعراء العصر نقصد منهم اولئك الذين سلكوا سبيلا جديدا في شعرهم من حيث الديباجة والمعاني. اما الشعراء وبتعبير ادق الناظمون المقلدون فلا يدخلون في باحة هذه الموازنة..

وعند التحدث عن فحول شعراء العرب المجددين في الشرق يجب ان لا يتناول نظرنا شعراء العرب في المهاجر الاميركية. ولقد اجمع الناس من ادباء ومتأدبين على ان اثنين من شعراء مصر المعاصرين بزّا الاقران هما: احمد شوقي وحافظ ابراهيم. واختلف النقاد في ايهما المجلي، ومع ان حافظا ضرب على اوتار القلوب من مصر وبلاد العروبة، منظما قصيدا يتأجج بالوطنية، فان (شوقي) استوعب في قصائده اولا معاني جديدة لم يبلغ حافظ شأوها. واحدث ثانيا في الشعر العربي هذه المسرحيات المنظومة التي لم يعرفها ادب الضاد قبله من حيث احكام الصنعة والابداع في التعبير عن خوالج النفس.

مع ان هذه المحاولة قد سبقه اليها شاعران لبنانيان كبيران هما خليل اليازجي وعبد الله البستاني ولكنهما لم يبلغا في الاجادة مبلغ شوقي في مسرحياته بحيث سار بها الركبان وصفقت الجماهير في كل مكان شنف انشادها الاذان..

ومع ان اسماعيل صبري قد جود في بعض شعره على قلته لكنه لم يعد في الحلبة مع شوقي وحافظ واستطيع ان اطمئن الى رأيي بان "الرصافي" يجيء بعد هذين الشاعرين، لهذا اعد الدكتور طه حسين مصيبا في حكمه عندما قال: "بعد ان فارق حافظ الحياة لقد انتقلت امارة الشعر الى العراق، وهو يقصد بلا ريب ان صولجان الشعر العربي تلقفه معروف الرصافي بعد ان غيبت لصفائح امير الشعراء وشاعر الذيل في ارض الكنانة.

وقد اعترض بعض الادباء على طه حسين يوم ارسل هذا الحكم متسائلين: كيف اغضى عن علم في الشعر المعاصر هو "خليل مطران" فقال قولته المشهورة: "قصدت بهذا الانتقال امارة الشعر التقليدي لان خليلا صاحب مذهب جديد في شعرنا".

ولم تتح لطه مشاغلة في السياسة والادب الصحفي ان يبرهن على مكانة مطران بين رواد الشعر الحديث حتى قيضت الايام للخليل الدكتور اسماعيل ادهم فالف فيه كتابه التحليلي النادر المثال بعنوان "خليل مطران شاعر العربية الابداعي".

اما بشارة الخوري "الاخطل الصغير" وابليا ابو ماضي فهما من طراز شعري آخر، وهما كوكبان نيران في ادبنا الحديث.

وطبيعي ان هذه النظرة تقصر دون الجيل الجديد من كبار شعراء العرب في العراق ومصر وسوريا الكبرى والمهاجر.

س٢: هل لكم ان توردوا بعض ذكرياتكم عن الرصافي؟

الجواب: لقد عرفت الرصافي بشعره ثم قابلته لأول مرة سنة ١٩٢٠، كما وصفت هذه المقابلة في مقال كتبته على طلب لصحيفة عراقية في عدد خاص ارصدته لذكراه. وكما اشار صديقي الاديب الضليع الاستاذ مصطفى علي في كتابه عن الرصافي. وامتدت معرفتي بالشاعر النابغ طوال السنين حتى وافى حمامه. وفي فكري عنه شيء كثير كما ان حياته باطوارها ومعالمها تستوقف المتأمل في مراحل كثيرة. واعني ان يسعفني الزمن لأؤدي الواجب للادب والتاريخ في تدوين مشاهد واراء في هذا الصدد.

ويحضرني الساعة موقف ومشهد لشاعر الشعب والاديب الحر. اما الموقف فعندما انشد الرصافي لاميته في احتفال ادباء الشعراء بامين الريحاني، فكانت قصيدته هذه معلقة عصرية ضمت ما يجيش في صدر الأمة من احساس قوي بالكرامة العراقية وبألم كظيم من كابوس الاستعمار واثر السياسة الغشوم في النفوس. ويكفي ان اذكر ان جماعة من الشباب الوطني كانوا اعدوا نسبا كثيرة من هذه القصيدة الخالدة مكتوبة (بالتابيرايتر) صاروا يوزعونها على شهود الحفلة ومعظمهم قد خرجوا سكارى مفتونين بما عبر شاعرهم عما تهجس به خواطرهم وتفيض صدورهم وستبقى هذه القصيدة مأثورة للرصافي تغني عن مجلد ضخم في وصف الحالة النفسية للشعب يومئذ ازاء السياسة المفروضة عليهم. ويكفي ان تكون القصيدة قد غطت على كل ما قيل في تلك الحفلة بما فيها رائعة الريحاني نفسه من شعره المنشور في وصف الحرية ورسالتها الى الشرق. ولكن معاني هذه الرائعة كانت اعلى من المستوى العام لجمهرة السامعين فضلا عن انهم كانوا يسمعون الريحاني يخاطبهم بلهجته اللبنانية الناعمة وسحره الخطابي، بينما قلوبهم تئن من آلام الجراح بين عيش هذا الاديب المفكر الذي جابت قصائده الافاق العربية ولهج رواتها بنبوغ القريحة العراقية المعاصرة واستنهض الهمم وحرك النفوس الراكدة في ليل الاستبداد حتى اذا ما كتب القدر وتعاونت ضحايا الحرية مع الاوضاع الدولية فولدت دولة العراق ثارت فيه سياسة الحكم وتقلبات المجتمع بحيث بلغ بعض الأمعات مبالغ من الجاه والثروة عاشوا فيها منعمين، وظل طريد الطغيان في كوخ بؤسه، يعيش في مغنى متوهج من مغاني الخيال بفكره النير وفؤاده الصلد.

س٣: ما هي احسن الوسائل لتخليد الرصافي؟

الجواب: ان الرصافي خالد في تاريخ النهضة العراقية بمقامه في عالم المفكرين الاحرار الاجرياء، وبشعره وبآثاره التي كتبها، اما اذا اردنا ان نحيي ذكراه باقامة اثر تذكاريه له فعلينا ان نعمل كما تعمل الشعوب الحية في تخليد نابغيها: مدفن عليه جلال الفكر اللامع، وتمثال يشير للنشء الى الصراحة والتحرر الفكري، وكتاب يؤرخ لهذه الشخصية النادرة ويدرسها دراسة علمية دقيقة بآثارها وتأثيرها. وان تطبع مجموعة اشعاره ومؤلفاته الاخرى طبعات علمية دقيقة واذاعتها بين القارئين بقدر المستطاع. وهذه الواجبات معلقة في عنق العراقيين مادام الرصافي نابغة فيهم.

من روائع الرصافي:

معترك الحياة..

سل الفلك الدوار عن حركاته
فهل هو فيها دائر باختياره
وهل هو في هذا الفضاء مسافر
له غاية مقصورة من سفاره
وهبنا جهلنا بدأه من تقادم
فهل يدرك العقل انتهاء مداره
متى ينجلي ليل الشكوك عن النهى
وترفع كف العلم مرخى ستاره
الا وري في زند الزمان فنهتدي
بسقط ضئيل من سقيط شراره
ارى الدهر ليلا كله غير مبصر
وان كان في رأد الضحى من نهاره
واهليه ساروا خابطين ظلامه
وان ركبوا في السير متن بخاره
×××
لعمرك ان الدهر يجري لغاية
فان شئت ان تحيا سعيدا فجاره
وها هو ذا يعدوا فيبتذر المدى
وينهب اعمار الورى في ابتداره
لقد فاز من باري جديدة جدة
وخاب الذي في جدة لم يباره
وليست حياة الناس إلا تجددا
مع الدهر في ايباسه واخضراره
وما الناس إلا الماء يحييه جريه
وبرديه مكت دائم في قراره.

لقاء اجرته مجلة (الأسبوع) لصاحبها الراحل خالص عزمي في عددها (18) في 16 اذار 1953

تحقيقات جديدة حول مساجد وآثار بغداد الخالدة

تاريخ جامع السراي

المسجد الذي كان تحفة فنية .. وتجديده ضرورة ملحة

عماد عبد السلام رؤوف

هو من جوامع بغداد الواغلة في القدم، ما يأتي "قدم بغداد واستوطنها، وكان مليح الخط حسن المعرفة بالعربية وسكن بمسجد الامام الناصر لدين الله المقابل لسوق العميد وكان يعلم الصبيان، وسافر الى نجيل وكتب عن القاضي بها رأيته واجتمعت به وكتبت عنه وكان دمث الإخلاق كتب لي بخطه من شعره سنة ٦٨٣" والظاهر لنا ان مسجد الناصر او مسجد سوق السلطان هذا هو الجامع المعروف اليوم باسم جامع السراي او جامع جديد حسن باشا، وهو الظن الذي افتتحنا به هذا المقال، يدفعنا الى ذلك ما نقله الاستاذ الباحث عباس العزاوي من كتاب جامع الانوار في مناقب الاخيار لمؤنفه مرتضى ال نظمي عند كلامه عن الامام الناصر موضحا ان لهذا الامام تربة متصلة بهذا الجامع وانه لا يزال على ايامه (اي في سنة ١٣٢ هـ او ١١٣٦ هـ وهي سنة وفاة المؤلف مرتضى) وهذا القول على خلافه مع بعض التواريخ الاخرى، كتاب الذهل المسبوك للاربلي وفيه ان الناصر دفن بترب العباسيين بالرصافة "اي الاعظمية") فانه يدل على ان الناس كانوا يعتقدون ذلك اعتقادا راسخا وهو اعتقاد يظهر مدى العلاقة بين الناصر وبين الجامع المذكور، فلعله بانيه ان لم يكن قد دفن فيه فعلا، وفي النسخة المعربة التي بين ايدينا من كتاب جامع الانوار هذا – تعريب وزيادة الشيخ عيسى البندنيجي المتوفى سنة ١٨٢٣ – ما يختلف عن ما نقله الاستاذ العزاوي بعض الاختلاف اذ جاء فيه ما يأتي "ومنهم الشيخ الرحمن بن محمد الاربلي الكاتب النحوي ناصر الدين عليه الرحمة. هكذا ذكره المؤلف بلقبه ولم يسمه، وقال لم نر مناقبه في كتب التاريخ ولكن أخبر بعض الاخيار انه من السادات الكرام ومن المشايخ ذوي الاحترام ومعتقدي اهل زمانه من الانام، مدفنه في الجامع السليماني (وهو جامع السراي كما سيأتي) قرب دار الامارة" وفي كتاب "غاية المرام) لياسين العمري الموصلي ما يشبه هذا ونصه "مرقد ناصر الدين في بغاد في جامع حسن باشا" وليس (ناصر الدين) هذا – كما يبدو – الا تصحيف او تحريف لاسم (الناصر لدين الله) الخليفة العباسي الشهير.

اما العمارات والاصلاحات التي اجريت على الجامع المذكور فاولها – فيما نعلم – الاعمار الذي قام به السلطان العثماني سليمان القانوني بعد فتحه لبغداد في جمادي الاولى سنة ٩٤١ هـ (١٥٣٣ م) ومن اسمه كتب الجامع اسمه فقيل له السليماني او السليمانية نسبة اليه. وفي سنة ١٠٦٧ هـ قدم الرحالة التركي اوليا جلبي فوصف الجامع بقوله "وفيه منارة ويقع امام باب السراي (دار الحكومة) .

وفي عام ١٠٩٤ الهجرة جرت ثاني عمارة على هذا الجامع، قام بها والي بغداد الوزير ابراهيم باشا الذي تولى الولاية في جمادي الاولى سنة ١٠٩٢ هـ (١٦٨١م) وعزل عنها في شوال من سنة ١٠٦٥ (١٦٨٤م) وكان شابا استطاع القضاء على عصيان حدث في حاميته وناديب شرطة المدينة المنفسخة الجائرة كما اشتهر بخدماته العمرانية العامة كتعميره لجامع السيد سلطان علي وانشائه سياجا (طرابزينا) للجسر العالم ، وتجديده لجامع لسراي المذكور تجديدا شاملا رصينا، وقد اخذ ذلك شيخ الطائفة المولوية المدعو (يحيى دده) فكان سنة ١٠٩٤ هـ.

وبعد قرن من الزمان قام الوالي العثماني الشهير حسن باشا فاتح همدان (١١٩٢ – ١١٩٤ هـ) (١٧٧٨ – ١٧٨٠م) بتعمير الجامع تعميرا واسعا كاملا فصار يسمى بجامع جديد حسن باشا تمييزا عن جامع الوزير حسن باشا الذي هو اقدم منه والمسمى بجامع الوزير قال المرحوم سليمان فائق في كتابه المخطوط "حروب الايرانيين" اثناء الكلام عن الوالي المذكور "ثم عمر رصيفي جسر بغداد من الجانبين، وانشا جامعا فسيحا اما السراي ومدرسة جديدة واوقف عليهما املاكا كثيرة ابتاعها لهذا الغرض فسجلت باسمه ومحق البدع والمحدثات المضرة بالاهالي والتي لم تكن عائدة الى الخزينة ".

في صورة تخطيطية رسمها احد السياح الاجانب الذين زاروا بغداد سنة ١٨٢٧ م يظهر للجامع بابان سامقان تحيط بهما الافاريز المزخرفة ويصعد اليهما بسالم صغيرة، وبينهما سبع نوافذ عالية ايضا تتوجها زخارف في غاية الجمال والدقة، وفوق البناء قباب فارسية الطراز ذات رؤوس مستدقة، وفي اخر الجامع تلوح مئذنة رشيقة ذات شرفتين لا تقل عن سائر البنيان دقة وجمالات.

وقد وصف المسجد المذكور في اوائل هذا القرن علامة العراق المرحوم محمود شكر الالوسي في كتابة "مساجد بغداد واثارها" فقال "هو من المعابد الشهيرة في الرصافة واقع امام دار الحكومة، وكان مسجدا صغيرا ، فلما اشرف على الخراب عمره ابو المعالي حسن باشا ايام ولايته على بغداد وزاد فيه وصرف مبلغا وافرا على عمارته. وهو رصين البناء متين القواعد والاركان فيه مصلى شتائي واسع جدا وعليه قباب رفيعة معقودة بالجص والاجر وليس فيه زخرفة ولا نقوش وعن شرقي المصلى قامت مئذنة شامخة مبنية بالحجر الكاشاني الملون، وامام المصلى رواق واسع وفي فناء الجامع مصلى صيفي عن يمين الشتائي اي في غربيه، وفيه مدرسة رتب لها مدرس واحد ومحل للتوقيت، وحجر يسكنها خدام الجامع، وله خمسة ابواب يسلك منها المصلون وتقام فيه اليوم الجمع والاعياد وسائر الصلوات المكتوبة".

وفي الايام الاخيرة جرت على الجامع المذكور عدة تغييرات وتعميرات طفيفة، منها ان غلقت احدى ابوابه المفضية الى الزقاق الذي خلفه، ومنها ان الغيت جهة التدريس التي كانت فيه. وفي عام ١٩٢٧ قامت دائرة الاوقاف بترميم بعضه، وفي عام ١٩٣٢ م انتقلت اليه الدائرة المذكورة شاغلة بذلك القسم الغربي من فناءه.

والمسجد اليوم مغلق بسبب الاصلاحات فعسى ان يعود كما كان تحفة من تحف الزوراء الفنية ومعبدا من معابدها الدينية.

صفحات اجتماعية من الجيل الماضي

مـعـارك الـصـبـيـان

جعفر الخليلي
اديب عراقي راحل

يظهر الاشتباك والعراك في الجيل الماضي بمظاهر مختلفة وصور متعددة وكان الصراع شائعا بين الاطفال فانتشر ولم يستطع احد المتصارعين ان يلقي صاحبه على الارض ويجثو فوق صدره استعمل يده باللكم والضرب والقرص احيانا، واستعمل اسنانه بالعض احيانا اخرى، وقد ينفلت من المشابكة وبخفة وسرعة يبحث عن حجر في الطريق او اي شيء اخر ليضرب به خصمه، اما الشتائم والبذاءات فهي من شروط العراك الاساسية فلا يمكن ان يشتبك احد بخصمه وهو ساكت..

وقد تتحول المعركة الفردية عند الاطفال الى معارك جماعية يشترك فيها عدد كبير، ومثل هذه المعركة غالبا تجري عن بعد بواسطة المقاليع والحجارة ، وعن اقرب بواسطة الحصى وما يقع تحت ايدي الاطفال حسب سنانهم وقابلياتهم.

وكانت التربية يوم ذاك – او اقل كان اختلال الامن وعبث الاقوياء بالضعفار وهضم حقوقهم – تفرض على الاطفال وهم صغار ان يعتمدوا على انفسهم في الذب عن مصالحهم، وكانت قصص الابطال واشعار الحماسة، واخبار الفتوح تزيدهم يقينا بسنة القوة ووجوب فرضها على الاخرين، لذلك قلما يصادف ان يمر صبي في شارع دون ان يتحرش بصبي اخر على سبيل التحدي والغرور بما يملك من مقدرة وقوة، وكان الصبيان كثيرا ما يتدربون على رمي الحجارة بالمقلاع فينتحون من خارج المدن احدى النواحي ويتخفون منها ميدانا للمعركة في عصر كل يوم او في ايام العطل المدرسية وكانوا يتفننون في حياكة المقلاع ونسجه من خيوط الصوف والقطن والحرير الملون على نسق حياكة البسط والسجاد.

اما الكبار فكانوا يستخدمون الايدي في اشتباكهم وان وسعهم فيستخدمون الاحذية وهي اليمنيات، والنعال وكثيرا ما يسبق الاشتباك تهديد كان يقول احدهم:

– تره والله اكوم اضربك كل يمني شكل..

والمقصود (بكل يمني شكل) هو ان يضربه باليميني كل ضربة تختلف عن اختها وضعا ووقعا .. او يقول له:

– تره اكوم لك بالنعال..

واذا لم تتبين انواع ضرب اليمنيات جيدا، فان اختلاف ضرب النعال معروف عند الجيل الماضي، فهو اما ان يتم الضرب بقفا النعال وهو الضرب الاعتيادي واما ان يتم بحاشية النعال من طرفه وينزل بالمضروب من جانب السمك كما لو كان سيفا، وهذا ما يسمونه (بالكلز) اذ كثيرا ما ترى المشجعين الذين يسرهم انتصار الاقوياء لمجرد كونهم اقوياء، يصيحون بالضارب حصريا وكان الخصم قرويا وقد ظفر به في المدينة – وهذا ما يحدث كثيرا – يصيحون به:

– كاز .. كاز.. اضربه كاز.. (اي اضربه بحاشية النعال فانه اوجع).

وضرب اليمنيات وضرب النعال كان يؤلم القرويين كثيرا اكثر من اي شيء آخر، لانه كان رمز تحقير كبير عندهم لذلك كانوا يتحاشونه عند دخولهم المدن ويسعون على قدر الاستطاعة ان يصفوا حسابهم احدهما فيخطف من دكان، او محل عبارا، او قضيبا حديديا، او سيخا، او صخرة او اي شيء يحول بها تلك المعركة العارضة الى مسرح جريمة، والكثير من ابناء الجيل الماضي من كان يسعى جهده لتجنب الاشتباك والعراك في اثناء الغضب، اختلاف الرأي وذلك بداعي تربيته التي تحمله على الترفع او بداعي شعوره بالضعف، ومثل هؤلاء كانوا يتحملون الظلم وهم ساكتون عن ترفع او عن خوف.

ولقد لطم ذات مرة زبون بقالا على ام وجهه لطمة قوية على اثر شجار دار حول حاجة مشتراة، فاندفع البقال الى داخل دكانه بعجلة كمن يريد ان يستعين بحربة او سلاح مخبوء واحس المشتري بان الرجل سيخرج له بعود، او هراوة او اي شيء اخر فمد يده الى قنينة خل هناك واستعد ليقذفه بها عند اول وقوع الاشتباك وما كانت غير لحظة، لحظة فقط، خرج فيها البقال من داخل الدكان وبيده خيارة من ذلك النوع من القثاء الملتف ورواح يقضمها باسنانه قضما وهو يقول:

– "اريد ابرد كلبي.."

لقد كان الكثير ممن كان يقع عليهم الاعتداء من الضعفاء في الجيل الماضي بسبب ضعف الحكومة، وعدم استطاعتها ان تنشر العدل في جميع جهات العراق كانوا يلتجئون الى الخيار، او الرقي، او النومي او الماء اذا لم يجدوا شيئا يبردون به قلوبهم ولسكنوا على مضض ما دامت الحكومة لا تستطيع ان تبرد لهم قلبا، وما دامت الفوضى ضاربة اطنابها في جميع النواحي..

وغير العصى والسياط في المدن كانت السكاين وكان نوع صغير من الخناجر المسماة (بالخنجر ليه) والتي لا تزال للان تحمل بكثرة (الحدرة) وهي غصن غليظ من شجر التوت غالبا ولا يزيد طوله على خمسين او ستين سنتميترا، وقد ككل طرفه براس من البرنز، او الحديد بحجم بيضة اللقلق، وكان (المكوار) وهو الاخر غصن شجر قوي وقد عمم بمقدار من القير على شكل دائرة او شكل بيضة كبيرة وكانت (البشتاوه) او (التك) وكان المسدس ولم يكن حمل المسدس متيسرا لكل واحد بالنظر لقلته ولغلائه حينذاك، وقرب عهدهم باستعماله وكانت هذه الاسلحة تحمل في خفية نسبية وبيده خيارة من ذلك النوع من القثاء الملتف ورواح يقضمها باسنانه قضما وهو يقول:

– "اريد ابرد كلبي.."

لقد كان الكثير ممن كان يقع عليهم الاعتداء من الضعفاء في الجيل الماضي بسبب ضعف الحكومة، وعدم استطاعتها ان تنشر العدل في جميع جهات العراق كانوا يلتجئون الى الخيار، او الرقي، او النومي او الماء اذا لم يجدوا شيئا يبردون به قلوبهم ولسكنوا على مضض ما دامت الحكومة لا تستطيع ان تبرد لهم قلبا، وما دامت الفوضى ضاربة اطنابها في جميع النواحي..

وغير العصى والسياط في المدن كانت السكاين وكان نوع صغير من الخناجر المسماة (بالخنجر ليه) والتي لا تزال للان تحمل بكثرة (الحدرة) وهي غصن غليظ من شجر التوت غالبا ولا يزيد طوله على خمسين او ستين سنتميترا، وقد ككل طرفه براس من البرنز، او الحديد بحجم بيضة اللقلق، وكان (المكوار) وهو الاخر غصن شجر قوي وقد عمم بمقدار من القير على شكل دائرة او شكل بيضة كبيرة وكانت (البشتاوه) او (التك) وكان المسدس ولم يكن حمل المسدس متيسرا لكل واحد بالنظر لقلته ولغلائه حينذاك، وقرب عهدهم باستعماله وكانت هذه الاسلحة تحمل في خفية نسبية عن انظار الحكومة داخل المدن ولذلك لم يكن حمل البنادق داخل المدينة هينا دائما.

ولم تستعمل القبائل والقرى السكاكين ولا هذا النوع المدعو (بالخنجرلية) وانما تستعمل انواعا من الخناجر المسماة (بالكديمي) التي دخلت العراق عن طريق البادية ثم الخناجر الكبيرة المسماة (بالبالة)، والخناجر المعروفة المسماة (بالعفجاوي) نسبة الى مدينة (عفك)، وكانوا يصوغون قبضاتها وقرابها صياغة جميلة من الذهب والفضة ويهتمون بها عناية فائقة.. ثم (البشتاوات) و(التكوك) و(المكاوير) و(الحدرات) والمدسات ثم من البنادق (المطبكه) وهي اشبه ببنادق الصيد من حيث التصميم فقط، والماطلي، و(القبغلي) التي كان يحملها الجيش التركي والتي كانت تصل الى القبائل عن طريق الخطف وسلب الجيش والتغلب عليه في المعركة ثم (الموزر) وهو احدث البنادق التي ظهرت في اواخر الجيل الماضي.

والقبلي لا يشتبك مع خصمه كما يشتبك الحضري، ولا يعرف المصارعة، ولا هذا النوع من الخناق بل ان خصامه يكاد لا يتجاوز كلمة او كلمتين حتى بعد يده الى الغمد الاسلحة التي يحملها وباقل من بضع دقائق يسقط كلاهما او يسقط احدهما جريحا او قتيلا او يسقط العشرات من ذوي الطرفين الذين تستدعيهم المقتضيات القبلية ولم ان يخفوا او الدخول في المعركة قبل الوقوف على السبب وقبل ان يفكروا في شيء.. وان المهارة كلها في نزاع القبائل وعراكهم وبناء قلاع واستعداد قد يطول كثيرا والمثل القبلي المعروف عن (صحن) وهو الزعيم الذي كان يعد بانه سيعبر النهر ليجعل من مساكن القبائل قاعا صفصفا – معروف مشهور، وكان محبو الانكليز في الحرب الثانية او الساسة الذين لم يتوقعوا لالمانيا النجاح يستعيدون ذكر هذا المثل (عبر صحن) كل يوم وكلما سمعوا بان هتلر يريد ان يعبر المانش الى انكلترا، وكثيرا ما كانت تقع هذه المعارك بين بعض القبائل وبين الحكومة العثمانية وكثيرا ما كانت الحكومة العثمانية تستعين بقبائل اخرى في اخضاع القبيلة المناوئة لها والمتمردة عليها، وكانت العادة اذا اعلنت الحرب بين قبيلة واخرى ان (تعلق) القبيلة، و (التعليق) هو عبارة عن رفع العلم في محل اقامة الزعيم فترفع الاعلام حينذاك على جميع محلات الشيوخ من تلك القبيلة او من حلفائها ثم تبدأ (الهوسات) والهوسات هي الاهازيج التي ترددها القبيلة في شبه رقصة، شاهرة باياديها سلاحها ومعرية (بالهوسة) عن شعورها من ذم وهجاء، او حماس وافتخار، ففي الحرب التي وقعت بين قبيلة بني زريج وقبيلة ال زياد (الديوانية) هوس ال زياد مفتخرين بزعيمهم (نوني) – قائلين:

"بزبيل الله معلك نوني)

اي ان (نوني) الزعيم متعلق بزنبيل الله فمن هو الذي يستطيع ان يطاوله من الروؤساء؟

وحين هجم بنو زريج على قبيلة ال زياد وهرموهم (هوسوا) ردا على تلك الهوسة المتقدمة – قائلين:

"شكينه زبيله وخر نوني"

اي اننا خرقنا زنبيل الله فخر (نوني) صعقا الى الارض فمن هذا الذي يقول انكم لن تصلوا اليه؟، ولن تستطيعوا ان تنزلوه من عليانه؟ وغير هذا الكثير الذي يحتاج الى فصل خاص به.

والقبيلة اما مهاجمة فيجب ان تخطط الخطة اللازمة للهجوم واناطة كل جهة بقائد لا يسأل عن غيرها.. واما ان تكون مدافعة فعليها ان تلزم قلاعها، وهي قلاع اغلبها طينية مشيدة من الطين تسمى (بالمقتول) او (الجعلة) وتبنى على شكل طابقين ينزل فيها الرجال المقاتلون، ومن هذه التقوب المحيطة بالقلعة يطلق الرجال بنادقهم على المهاجمين وتبعث النساء بالهلاهل والزغاريد تشجيعها للمقاتلين.

وعلى رغم كثرة انتشار الخناجر و(المكاوير) فان الانتفاع بها في مهاجمة الذئاب والضباع وقضاء بعض الحاجات اكثر مما هي في مقابلة الانسان في الحروب وذلك لكثرة استعمال البندقية، ومع ذلك فحين تدعى القبيلة للحرب ولم تتهيأ لكل افرادها البنادق فانهم لا يحجمون عن الالتحاق بالمعركة ولو كان سلاحهم لا يزيد على خنجر، او مكوار، او هراوة، او فالة (والفالة) عمود من القصب القوي المعروف (بالجنا) وقد اوصل بكف حديدية ذات خمسة اصابع تكون روؤسها على هيئة الشص (السنارة) ، وهي تستخدم لصيد الاسماك وذلك بلطاقتها على السمكة الحضري، ولا يعرف المصارعة، ولا هذا حريصا او قتيلا او يسقط العشرات من ذوي ان يخفوا او الدخول في المعركة قبل سيء.. وان المهارة كلها في نزاع القبائل وعراكهم وبناء قلاع واستعداد قد يطول كثيرا والمثل القبلي المعروف عن (صحن) وهو الزعيم الذي كان يعد بانه سيعبر النهر ليجعل من مساكن القبائل قاعا صفصفا – معروف مشهور، وكان محبو الانكليز في الحرب الثانية او الساسة الذين لم يتوقعوا لالمانيا النجاح يستعيدون ذكر هذا المثل (عبر صحن) كل يوم وكلما سمعوا بان هتلر يريد ان يعبر المانش الى انكلترا، وكثيرا ما كانت تقع هذه المعارك بين بعض القبائل وبين الحكومة العثمانية وكثيرا ما كانت الحكومة العثمانية تستعين بقبائل اخرى في اخضاع القبيلة المناوئة لها والمتمردة عليها، وكانت العادة اذا اعلنت الحرب بين قبيلة واخرى ان (تعلق) القبيلة، و (التعليق) هو عبارة عن رفع العلم في محل اقامة الزعيم فترفع الاعلام حينذاك على جميع محلات الشيوخ من تلك القبيلة او من حلفائها ثم تبدأ (الهوسات) والهوسات هي الاهازيج التي ترددها القبيلة في شبه رقصة، شاهرة باياديها سلاحها ومعرية (بالهوسة) عن شعورها من ذم وهجاء، او حماس وافتخار، ففي الحرب التي وقعت بين قبيلة بني زريج وقبيلة ال زياد (الديوانية) هوس ال زياد مفتخرين بزعيمهم (نوني) – قائلين:

"بزبيل الله معلك نوني)

اي ان (نوني) الزعيم متعلق بزنبيل الله فمن هو الذي يستطيع ان يطاوله من الروؤساء؟

وحين هجم بنو زريج على قبيلة ال زياد وهرموهم (هوسوا) ردا على تلك الهوسة المتقدمة – قائلين:

"شكينه زبيله وخر نوني"

اي اننا خرقنا زنبيل الله فخر (نوني) صعقا الى الارض فمن هذا الذي يقول انكم لن تصلوا اليه؟، ولن تستطيعوا ان تنزلوه من عليانه؟ وغير هذا الكثير الذي يحتاج الى فصل خاص به.

والقبيلة اما مهاجمة فيجب ان تخطط الخطة اللازمة للهجوم واناطة كل جهة بقائد لا يسأل عن غيرها.. واما ان تكون مدافعة فعليها ان تلزم قلاعها، وهي قلاع اغلبها طينية مشيدة من الطين تسمى (بالمقتول) او (الجعلة) وتبنى على شكل طابقين ينزل فيها الرجال المقاتلون، ومن هذه التقوب المحيطة بالقلعة يطلق الرجال بنادقهم على المهاجمين وتبعث النساء بالهلاهل والزغاريد تشجيعها للمقاتلين.

وعلى رغم كثرة انتشار الخناجر و(المكاوير) فان الانتفاع بها في مهاجمة الذئاب والضباع وقضاء بعض الحاجات اكثر مما هي في مقابلة الانسان في الحروب وذلك لكثرة استعمال البندقية، ومع ذلك فحين تدعى القبيلة للحرب ولم تتهيأ لكل افرادها البنادق فانهم لا يحجمون عن الالتحاق بالمعركة ولو كان سلاحهم لا يزيد على خنجر، او مكوار، او هراوة، او فالة (والفالة) عمود من القصب القوي المعروف (بالجنا) وقد اوصل بكف حديدية ذات خمسة اصابع تكون روؤسها على هيئة الشص (السنارة) ، وهي تستخدم لصيد الاسماك وذلك بلطاقتها على السمكة حين يراها الصائد فتغرز بعض الاصابع فيها وتقف السمكة بالنظر لثقل (الفالة) والفالة شاكة بها فتستسلم للصياد على هذه الكيفية.

وفي الثورة العراقية كان احد افراد قبيلة بني عارض لا يملك من السلاح غير (الفالة) وقد لحق بفالته احد الجنود الانكليز في المعركة، والما لم يستطع اللحاق به صوب الفالة نحوه، فاصابته في فخذه وظلت شاكة به حتى ادركته القوة فحملته مع الفالة والى هذه الفالة يشير صاحبها مطالبا بها (هوسة) معروفة ظل يرددها الناس زمنا طويلا وهي:

كابلنه انكريز وصاح منها الداد طب (للعارضيه) وضيع المشراد (فالتنه) ايفوجك راحت لبغداد (مشكول الذمه على الغاله).

اي لا ابرأ الله ذمتك ايها الجندي من الغاله التي اخذتها معك ولم تعدها الي.

جريدة البلد سنة 1964

استعمال المقاليع والخناجر والاحذية والطابوق في المعارك

صفحات من الحياة الشعبية في بغداد

الشيخ جلال الحنفي
مؤرخ راحل

(الطابوق) الذي كان يعطي كرواتب للموظفين الطواعين والفيضانات التي اهلكت العراقيين بسبب اختلاف اللهجات بين اهل الرصافة والكرخ كان الجانب الشرقي من بغداد – الرصافة – محافظات بسور جداره في الجو ستين ذراعا وعرضه في بعض الامكنة عشر اذرع وفي امكنة اخرى يبلغ خمس عشرة ذراعا. وكان يحيط بالسور خندق عظيم عميق ادركه اهل هذا الجيل من البغادة اما طوله فقد حدده السياح بوسائلهم الخاصة اذ ذكر اوليا چلبي الذي وصل بغداد سنة ١٠٦٦ هـ (في اواسط القرن السابع عشر الميلادي) قال ان طول السور ٢٨٨٠٠ خطوة وقال بكتكهام الرحال الذي كان في بغداد في ٣٠ تموز ١٨١٦ ان طوله ساعتان ونصف الساعة اي ان الطواف به يقتضي هذا المدى من الوقت، وذكر فيلكس جونسن الضابط البريطاني ان طوله ١٦٤٠٠ ياردة..

وفي ايام مدحت باشا الذي حكم بغداد في الربع الاخير من القرن التاسع عشر فكر في هدم ونفذ فكرته فعلا، فكان لضعف حكومته من ذلك واردات مالية حسيمة استطاع ان يصرف منها جانبا في الرواتب كما استطاع ان يتفق منها في بعض المنشآت العمرانية المهمة..

ولم يهدم مدحت باشا سور بغداد الا بعد ان اتضح له ان هذا السور لايمكن له بحال من الاحوال ان يقاوم المدافع المبتكرة في عصره فلا فائدة اذن في بقائه وصرف النفقات من خزينة الدولة على اصلاحه وترميم ما يتداعى منه ، غير ان السور ظل شاخصا الى ما بعد القرن الثالث عشر بالرغم من تعاقب المعاول لهدامة عليه .

اما نهاية امره فانه كان في مفتتح القرن الرابع عشر هجري وسيلة لتسديد ديون لحكومة التي ترتبت في ذمتها عن رواتب الموظفين المؤجلة، كان يعطي للموظف صك مقدار من الطابوق يستحصل من بيعه راتبه المتراكمة كما ان ايدي اللصوص لم تتراخ عن الامتداد اليه ولا لتسلط على اجره.. وما زال يتعاوره الهدم والتقويض حتى بات اثرا بعد عين.

ان حدود بغداد يومئذ كانت من الناحية الغربية تحدد بالموقع الذي يقوم عنده اليوم جامع الازبك وقاعة الشعب ومن الناحية الشمالية لا يزال احد ابواب بغداد شاخصا حتى اليوم في جهة الشيخ عمر وقد اتخذ متحفا للاسلحة وفي جهة باب الشيخ كانت تقوم باب الظلم التي تقع عندها اليوم محطة القطار في باب الشيخ اما الجهة الشرقية من بغداد فانها تنتهي دون جسر الجمهورية القائم في الباب الشرقي.. على ان الارض البغدادية المحصورة باطار هذا السور لم تكن كلها مشغولة بالعمران وانما كانت فيها مناطق واسعة مهملة متروكة من اجل انها مستنقعات او انها بساتين.

وقد تبدل سكان البلدة خلال هذا القرن غير مرة من حيث كانت تقع الاوباء الفتاكة كالطاعون ونحوه فتهلك الالاف الموظفة من الناس وتتداعى البيوت على اصحابها كالذي حدث اواسط القرن الثالث عشر والفيضان الذي تبعه فلقد هلك يومئذ اكثر من اربعين الف نسمة بحيث اصبح سكان بغداد في نحو (١٥٠٠٠) شخصا وكان مما يعرض للناس من دواعي الهلكة وقائع عصيان الولاة وقدوم جيوش السلطان بتأديب الوالي المتمرد..

ومن الامر الطبيعي ان هذه الطوارئ القاهرة لم تكن لتسمح بانعاش العمران او ازدياد نفوس السكان.. وكانت بغداد تتلقى بعد كل حادثة من هذه الحوادث جماعات من السكان الجدد يفدون عليها من كل جانب..

والتسميات التي اطلقها البغداديون على محلات مدينتهم تعتبر أدق مصدر لمعرفة تاريخ هذه المحلات ونوعية سكانها.. فقد كانوا يسمون كل محلة بنوع السكن الذي كانوا يقطنون فيها او بنوع الصناعات التي عرفت بها او ببعض المناسبات التي تشير الى معلومات خططية مهمة.

فمن ذلك ان نجد بعض المحلات او كثيرا منها في بغداد موقوفة على اسماء عشائر وقبائل معينة او اجناس من الملل الاخرى مما يدل على ان بغداد كانت توزع على السكان الذين يصدونها على اثر فراغها وخلوها من الناس من جراء الاوباء او الفيضانات او الغزوات الجائحة، وكذلك كان يجري الاسكان لمصالح تقتضيها سياسية الولاة..

فمن اسماء المحلات ما يظهر منها انها اقطعت لاقوام اتخذوها مساكن لهم ومضارب او تجمعوا فيها على وجه ما كالعزة والقراغول والتكارتة والبوهفرج والكولات والبوشيل والهيتاويين وتبة الكرد وتبة الكاوور وخان لاوند.

وواضح من هذا ونحوه ان السكان كانوا يعيشون على شكل المجموعات تجمع بينها وحدة العشيرة او الدين او اللغة او الصناعة احيانا.

وبذلك تكونت اللهجات المحلية المختلفة التي نلاحظها في كلام البغداديين والفاظهم ومصطلحاتهم. فقد كان اختلاف اللفظ بين اهل الرصافة واهل الكرخ كبيرا ملحوظا وكذلك الحال في اختلاف اللهجة بين سكان باب الشيخ وبين ابناء محلة الفضل وكان يظهر في المخاطبة والمصطلح وطريقة الغناء وربما ظهر الخلاف في الازياء ايضا والعادات تبعا لاختلاف القائمين الى بغداد وما جاوءا به من العوائد والتقاليد.

بالاضافة الى القديم من عوائد البغداديين وتقاليدهم ولهجاتهم ولا نستطيع ان نقطع بعدد سكان بغداد خلال هذا القرن اذ كان عدد السكان يتناقص ويتزايد بمقتضى الظروف والوقائع ففي سنة ١٨٤٦ م اي في اواسط القرن الثالث عشر الهري ذكر فليكس جونس ان عدد سكان بغداد دون الستين الف نسمة وقسم الاسر والعوائل على الوجه التالي:

(الاتراك ٤٠٠٠ عائلة والفرس ٢٥٠٠ عائلة واليهود ٢٥٠٠ والمسيحيين ١٠٠٠ والكرد ٢٠٠٠ والعرب ٢٠٠٠ والبدو والغرباء والساكنين موقتا ٢٠٠٠ عائلة) غير ان الاحصاء الذي اجراه مدحت باشا اوضح ان عدد سكان بغداد ٦٥٦٨٣ نسمة وصنفهم على الوجه التالي ٥٢٦٨٩ مسلمون و٩٣٢٥ يهود و ١٢٥٨ نصارى وهؤلاء هم السكان المقيمون اما الطارئون فهم ٢١٢٦ ايرانيا و٢٦٩ انكليزيا و ١٤ روسيا وثلاثة من الفرنسيين ، وثلاثة من النمسا.

وجاء في سالنامة بغداد لسنة ١٢٩٩ ان عدد بيوت بغداد (١٨٦٩٦) ولكن الذي جاء في السالنامة لسنة ١٣٠٠ يخالف هذا العدد ويبانيه اذ يذكر انه (١٦٣٠٣).

وفي كتاب تنزيه العباد الذي كتبه مؤلفه سنة ١٣٠٤ هـ قال ان عدد بيوت بغداد (٢٥٠٠٠) وذكر ان عدد سكانها (١٢٥٠٠٠ – ١٣٠٠٠٠) ولم يكن قد مر غير سنوات يسيرة على انتهاء القرن الثالث عشر الهجري.. مما يستفاد منه ان مسألة احصاء السكان في بغداد يومئذ لم تكن تجاوز الحدس والتخمين.

جريدة الايام 1962/4/23

مهن موصلية منقرضة

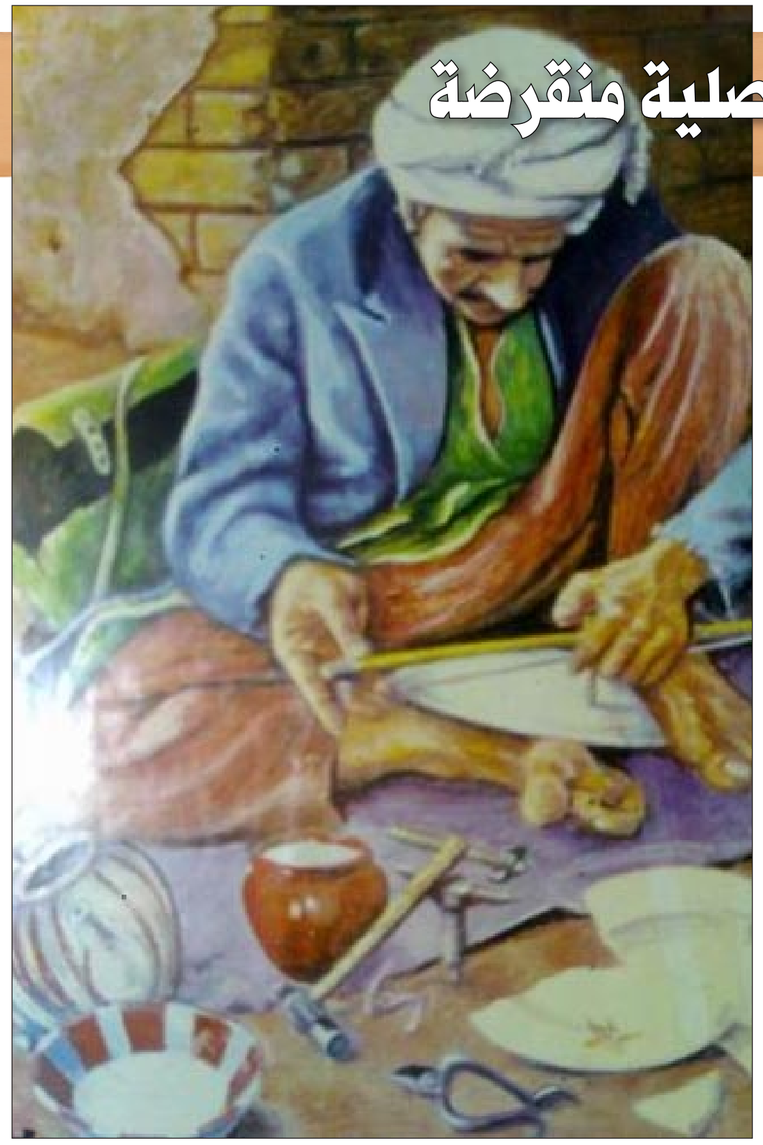

ازهر العبيدي

اعتاد الموصليون ممارسة المهن الحرة منذ أمد بعيد عندما كان الجهل وانعدام التعليم يعمّ العراق في الأزمنة القديمة، وبرع عدد كبير منهم في مهنته وطوّر في صناعته حتى غدت تنافس صناعات المدن العراقية الأخرى. وكان لكل مهنة في العهد العثماني صنفها الخاص ورئيساً للصنف يدعى (باش)، وكان الصنف يُعدّ بمثابة النقابة التي تنظم أمور المهن وتعاون أصحابها في حل مشاكلهم وقضاياهم مع الدولة أو فيما بينهم، وكثيرا ما كانت هذه النقابات تجمع الأموال من منتسبيها لإعانة أحد المنتسبين الذي خسر في مهنته وتعيده إلى العمل. فكانت التسميات (دلّال باشي) و(حكيم باشي) و(قصّاب باشي) و(عطار باشي) و(معمار باشي) و(بقّال باشي) و(حمّال باشي)، و(قيّمجي باشي) التي تعني رئيس مقيمي الذهب في سوق الصاغة، و(جبوقجي باشي) وهو رئيس خدم الجبوق أي التبغ الذي يعدّ للوالي وحاشيته في الغليون، و(سقّا باشي) وهو رئيس صنف سقاة الماء في المدينة.

وحمل الموصليون ألقاب هذه المهن واعتزّوا بها، ونقلوها من الأجداد إلى الأحفاد. وكان ربّ الأسرة يحرص على تعليم أولاده المهنة دون الغرباء، لكي يبقى سرّ المهنة محفوظاً لدى الأسرة ولا تسرقه أو تتعلّمه الأسر الأخرى. وأصبحت هذه الألقاب علامة فارقة لعدد من البضائع عندما كانت الدعاية في وسائل الإعلام معدومة. في حين ابتعدت الأسر التي تعمل في المهن المتواضعة عن حمل لقب المهنة، مثل الزبّال والكنّاس والعربنجي والقوندرجي والمطيرجي.

وامتازت أسماء معظم المهن في العهد العثماني بإلحاق اللفظ (جي) في آخرها، وتعني لفظة الانتساب أو التملك للمهنة مثل: كبابجي وحلاوجي وجايجي وحمامجي وفيترجي. وهذه المهن لا زالت تمارس في الوقت الحاضر واحتفظت بتسمياتها القديمة، فيما انقرضت مجموعة كبيرة من المهن بسبب انتفاء الحاجة لها أو حلول مهنة حديثة مكانها أو استيراد بضاعة أجنبية حلت محلها. ومن هذه المهن المنقرضة أو لم نعد نستعملها مهنة (الابريقجي) وهو المسؤول عن الأباريق في الجوامع، و(الاوتجي) وهو كوّاء الملابس، و(أوجي) الصيّاد أو القنّاص، و(البستنجي) أو (البغونجي) وتعني البستاني، و(البرذعجي) صانع برادع الحيوانات، و(البصوانجي) أو (الجرخجي) وهو الحارس الليلي، و(الجرقجي) وهو العامل في الجرداغ الذي يباع فيه الشمزي والبطيخ والخيار صيفاً، و(الجزمجي) بائع الجزم، و(الجارجي) بائع الخيم والمشمّعات، و(الجقماقجي) مصلح الأسلحة وأجهزة القدح، و(الجيتجي) بائع قماش الجيت أو (الجتجي) وهو مسؤول العساكر غير النظامية (الجتة)، و(الحيصجي) بائع الحياصة وهي حزام له ابزيم معدني كبير، و(التبلجي) وهو صالح خيوط التبل أو التيرة، و(الخانجي) صاحب الخان، و(الخرّجي) الخادم، و(الدكرمانجي) طحّان القهوة، و(الدنكجي) يعمل في الدنك الخاص بالبرغل والحبيّة، و(الدوغرمجي) النجّار، و(الديوة جي) ومرادفها (القاطرجي) وهو مسؤول القافلة من الجمال، و(الراوجي) وهو صانع معدات الآبار والمياه، و(السفرجي) منظم المواقد، و(سمرجي) يصنع سمرات الخيل، و(السوفاجي) صانع السيوف والخناجر، و(الصاغرجي) الجلودي الذي يصنع حاجيات صغيرة من الجلود مثل الدفوف والإيقاع، و(القوطجي) بائع الشاي في علب معدنية (قواطي) وقيل بائع القوت، و(الطوبجي) المدفعي أو مصلح المدافع، و(اللولجي) صانع الحبوب في العلوة ومرادفها (العلاّف)، و(القايجي) وهو الذي يصنع (القايغات) وهي الزوارق التي توضع عليها أخشاب الجسر القديم، و(القزانجي) بائع القدور الكبيرة، و(القنطارجي) وهو الذي يعمل في البيع والشراء بالجملة، و(الكالجي) بائع الكالات، و(الكجة جي) بائع البسط من اللبّاد، و(الكركجي) خياط (الكرك) وهو معطف ثمين من الفراء، و(اللولجي) صانع وبائع الغليون، و(النعلبند) وهو منعّل الحيوانات.

وهناك مهن لا زالت قائمة حملت قديماً تسميات عثمانية وحافظت عليها، في حين استعملت تسميات حديثة لعدد منها مثل: (الأجزاخانجي) الصيدلي، و(الأطرقجي) بائع الفرش والسجاد، و(الأسكجي) بائع الملابس القديمة (اللنكات)، و(ألجي) الطبّاخ أو صاحب المطعم، و(الباججي) بائع الباجة، وفي بغداد يطلق على بائع المجوهرات (البارجة جي) ومنه لقب أسرة (الباججي). و(البسطجي) بائع اللبن والقيمر والقشطة والجبن، و(البنجرجي) الضلاّع، و(البوسطجي) ساعي البريد، و(التنتجي) بائع التبغ، و(التحافجي) بائع المفروشات، و(التنكجي) يعمل في صنع الأواني من الزنك، و(التورنجي) الخرّاط، و(التوكمجي) مصلح أجهزة الطبخ والحنفيّات، و(الجامجي) بائع الزجاج، و(الساعجي) مصلح وبائع الساعات، و(الكمركجي) الذي يعمل في الكمرك، و(الصابونجي) بائع الصابون، و(العرضحالجي) كاتب العرائض، و(الفروجي) بائع وخياط الفراوي الشتوية، و(القليجي) بائع القلية، و(القهوجي) صاحب المقهى، و(المحمّصجي) بائع ومحمّص القهوة، و(النوبجي) شرطي المرور، و(المكينجي) يعمل في المكائن، و(اليوزبكي) وهو بائع المائدة حاجة من المواد الصغيرة.

ومن المهن التي حملت أسماء عربية وانقرضت في الوقت الحاضر، (السقا) وهو مجهز الماء للبيوت قبل ظهور الحنفيات وإسالة الماء، و(البارودي) الذي يعمل في صنع وبيع البارود في محلة البارودية أو التلمي، و(الحائك) يعمل في حياكة القماش والبسط على آلة الجوخة، و(الحصيري) بائع وصانع الحصران من الخوص والبردي، و(الخفّاف) صانع الأحذية القديمة المسماة بالخفّ أو (الايمني) التي يُكنّى العامة بها العنيد، و(الخنّاس) بائع السماد الحيواني، و(الدبّاغ) يعمل في دباغة الجلود، و(الدقاق) يعمل في دق القماش، و(الدهّان) و(السمّان) بائع السمن الحيواني، و(الشمّاع) صانع وبائع شموع الإنارة، و(الكوّاز) وهو صانع وبائع المواد الفخارية، و(الصقّال) يعمل في صقل الجلود، و(العفّاص) بائع مادة العفص الدباغية، و(القزّاز) بائع خيوط الحرير من دودة القزّ، و(القصّار) يعمل في قصر ألوان الأقمشة، و(القزّان) بائع وصانع الحلي من قرن الجاموس للأعراب، و(الملاح) بائع الملح وأدوات الملاحة النهرية، و(الوتّار) يعمل في بيع وشراء الأمعاء الدقيقة للماشية التي تستخرج منها أوتار تستعمل في العمليات الجراحية ولبعض آلات العزف، و(الوزّان) يعمل في وزن المواد الثقيلة في الكمرك.

وفي الماضي القريب كانت هناك مهن متجولة يمتهنها أناس بسطاء ممن لا يمتلكون رأس مال كاف لفتح دكان لهم، إذ لم تكن هذه المهنة بحاجة إلاّ إلى بعض اللوازم البسيطة مثل: (الجنبر) وهو محمل خشبي بثلاثة أرجل توضع عليه البضاعة في صينية معدنية أو سلة من أعواد الرمان، أو عربة خشبية صغيرة مكعبة الشكل. وكانوا يدورون في أزقة محلات الموصل القديمة قبل أن تتسع، وفي بداية التسعينات ظهر (الدنبر) الذي لم يكن معروفاً بعد جلبه من الكويت وأصبح يستعمله (أبو الكاز) و(أبو الغاز).

ومن مهن الباعة المتجولين (أبو الحلاوي) وهو بائع الحلاوة البيضاء والسمراء وعدة أنواع من الحلويات والمعجنات مثل: (العسل نعناع) و(اللكيلك) و(المعسلي) و(اللوزينا/ اللوزينج) و(شعر البنات) و(الشرابت) و(الكيك) و(المكرونية) و(البقصم) و(الجورك). و(أبو الدوندرمة) الذي يبيع المرطبات في الصيف في علبة يحملها بيده، و(أبو الشامية) وهو بائع الذرّة المطبوخة، و(أبو المستوى) وهو بائع الشوندر والشلغم المطبوخ في قدر كبير، و(أبو اللبلبي) وهو الحمّص المطبوخ، و(أبو الناملية) وهو شراب محلّى ملوّن بألوان زاهية، و(أبو الحليب) الذي يدور صباحاً حاملاً على حصان برميلاً من الألمنيوم فيه حليب خالي من الدهون، و(أبو البيض) وهو من الأعراب يحمل وعاء (زمبيل) مملوء بالبيض والتبن، و(أبو البجنجل) وهو نبات الخرنوب الذي يستعمل لوقف الإسهال، و(أبو السعد) والسعد درنات نباتية صغيرة يستخدمها الآن بعض مرضى السكّر، و(أبو العلك ماي) وهو بائع العلك المحلّى، و(أبو الفستق) وهو بائع الفستق الأخضر في موسم نضوجه، و(أبو العلّو عليج) وهو نبات من أعواد الحنطة الخضراء يستخرج منه مادة قطنية يأكلها الأطفال بلذّة، و(أبو الفرارات) الذي يحمل على كتفه ما يشبه الشجرة تحمل ألعاباً للأطفال منها الفرّارة والنقّارة والجزازة، و(أبو الملح) وهو أعرابي يبيع الملح من على ظهر الجمل ويعقّبه عدد من الأطفال المعجبين بمشهد الجمل، و(أبو القطا) وهو أعرابي أيضاً يبيع طير القطا الذي يكثر في موسم الحصاد، و(أبو الكيل) الذي يبيع (الكيل) المستخرج من منطقة (الجبلة) قرب حي السكر حالياً الذي تستخدمنه النسوة لتنعيم الشعر بدلاً من الشامبو، و(أبو الحطب) الذي يسوق عدداً من الحيوانات تحمل حطب الطرفاء لأغراض الطبخ والخبز، ومثله (أبو البعر/ البعرور) وهي مخلفات الأغنام، و(أبو السليل) وهو بائع السلال المصنوعة من أعواد الرمان.

ومن المهن المتجولة (أبو الطحن/ الطحان) الذي يجمع في عربة أو على حمار الحنطة من البيوت ويعيدها بعد طحنها في ماكنة طحن الحبوب، و(أبو مكينة البرغل) و(أبو الرشتة) مع مكائنهما لعمل البرغل والحبّية وتقطيع الرشتة في أواخر فصل الصيف، ويأتي من بعدهم (أبو الدنك) ليأخذ البرغل والحبّية إلى الدنك لتقشيرهما، و(كسّار الخشب) الذي يدور وهو يحمل بلطة لتكسير الأخشاب المستعملة في التدفئة والطبخ، و(أبو الحنفيات) ومعه عدّة لتصليح الحنفية الوحيدة عندما لم تكن الحمامات والمغاسل معروفة في الدور، و(حداد السكاكين) الذي يحمل آلة خاصة تدور بواسطة إطار دراجة يحدّ بها السكاكين العمياء، و(مبيّض المواعين) وهو الذي يطلي الأنية النحاسية القديمة بالقصدير بعد جمعها في كيس على ظهره، و(النداف) وهو الذي ينجّد القطن بآلة خاصة ويحشي الفرش، و(خيّاط الفرفوري) والفرفوري هي الأنية الخزفية مثل أباريق الشاي والصحون الثمينة التي تكسر، فيقوم هذا الرجل بخياطتها بأسلاك معدنية ولفّها بشرائط من الزنك، و(أبو القماش) وهو يحمل أطوالاً من القماش على كتفه ويبيع بالذراع. ويطلق الموصليون على بعض موظفي الدولة الذين يتعاملون مع البيوت لقب (أبو) مثل: موظف ومراقب البلدية الذي كان يدور في الأزقة القديمة لمراقبة البيوت ومنعهم من إخراج المياه القثيلة خارج البيت، ويسمّيه العامة (أبو البلدية) أو (أبو الجزا) لكونه يفرض (الجزاء) أي غرامة مالية قدرها (٢٠) فلساً لمن يخالف أمر الحكومة. ويسمّى مثله (أبو الماي) وهو قارئ المقاييس المائية، و(أبو الكهرب) وهو قارئ المقاييس الكهربائية، و(أبو الزبل) أو (أبو الوسخ) للزبّال الذي يجمع الأوساخ من البيوت في عربة يدوية صغيرة.

وأخيراً هناك مهن متجوّلة اختفت وعاد قسم منها إلى الحياة في فترة الحصار الاقتصادي بسبب حاجة الناس لها، ومنها مهنة (أبو العتيق)، و(أبو السعد). ومهن أخرى قد تعود إن استمرّت البطالة تنهش من لحم الناس مثل: أبو البجنجل، وأبو الفرارات، وأبو العسل، وأبو العلّو عليج.

امتازت أسماء معظم المهن في العهد العثماني بإلحاق اللفظ (جي) في آخرها، وتعني لفظة الانتساب أو التملك للمهنة مثل: كبابجي وحلاوجي وجايجي وحمامجي وفيترجي. وهذه المهن لا زالت تمارس في الوقت الحاضر واحتفظت بتسمياتها القديمة، فيما انقرضت مجموعة كبيرة من المهن بسبب انتفاء الحاجة لها أو حلول مهنة حديثة مكانها أو استيراد بضاعة أجنبية حلت محلها.

عندما جاء السياسي المصري الكبير محمد علي علوية باشا الى العراق سنة ١٩٣٩ ويبدو في الصورة الحاج سليمان الذكير والمفتي الحسيني ونعمان الاعظمي وعلي الشرقي.

(صورة خاصة بالمدى)

طرائف عن الزهاوي

شاعر العراق الفيلسوف وقصائده من أم كلثوم والفنانة المشهورة (نادرة) والممثلة البارعة (فاطمة رشدي)

سابقى لنفسي من حياتي متعسة
واعلم إني لست في الارض خالداً

نحن نوافق الشاعر في كل كلمة من هذا البيت ونقره عليه الا مسالة خلوده على الارض، فانه خالد ما دام فيها شعر يروى وخطرات فلسفية تدرس وظرف يستملح.

اما الشاعر فهو المرحوم جميل صدقي الزهاوي ملأ الدنيا شعراً منذ بدأ يقرّزم في الشعر بالعربية الى ان قبضه الله الى جواره سنة ١٩٣٦.

ولا تطمعوا ان احدثكم عن الرجل حديث مدرسيا يتناول ولادته ووفاته فليس العهد به ببعيد ولا باثاره فما في هذا غناء في كلمة كهذه الكلمة ولا بعائلته التي ينمى اليها، فافرادها كثر معروفون، ولا بمحيطه الذي اضطرب فيه، فان بيننا الكثيرين ممن عاصروه او ادركوه او شاهدوه او قرأوا شعره في حياته، فما الذي سيبقى من الرجل اذن؟؟

وتقول: سيبقى شعره الكثير الذي هذبه مرارا في حياته عندما كانت (ام كلثوم) في بغداد.

وسيهذب منه الزمن – كغيره من الشعر – بعد وفاته . هذا الشعر الذي كرس له الزهاوي نفسه وجند عليه همته وصرف فيه جهده وقضى فيه عمره فاكثر القول ونوع الاغراض وغير الاسلوب والقافية حينا وثبت على اسلوب واحد وقافية واحدة حينا اخر، هذا الشعر الذي نستطيع ان نقول عنه انه وسع كل شيء او ان الزهاوي اراد له ان يسع كل شيء.. هذا الشعر شبع مدحا ونقدا في حياة ناظمه وبعد وفاته ، قند اسلوبه ونقدت لغته، ونقدت اغراضه، فلست محدثكم عن الزهاوي حامي المرأة ونصير قضيتها يوم كان شوقي يتمتم وحافظ ابراهيم يجمجم فذلك من واجب الاتحاد النسائي وغيره من المؤسسات النسوية، ولست محدثكم عن الزهاوي حامي حرية الفكرو داعيتها:

عشية ما في الرافدين سلامة
ولا العيش في كل العراق يطيب

ولقد كتب الكاتبون في فلسفة الزهاوي، وتشككه ويقينه ، وفي ثورة الجحيم، وفي تكفير القوم له بسببها، وتناولوا نظريته في الدفع والجاذبية، وبحثوا في قصائده الفكلية ومقطعاته السياسية ومواقفه من الشؤون العامة، واكثروا في ذلك، وخاضوا فيه.

ولست بسبيل هذا كله لان القول فيه لا يخرج عما ذكره الاخرون من قبل. ومرة اخرى ما الذي سيبقى للحل بعد ان جرد من ترجمة حياته ومن بحث فلسفته، وبها اشتهر: (وعادى على هواها وعودى)؟؟

ومرة اخرى نقول ايضا : تبقى للرجل شخصيته التي تجمعت فيما الاضداد وتلاقت عندها المتناقضات.

هل تعلمون بان الزهاوي بدأ نظم الشعر بالفارسية اولا وبعد ذلك بمدة صار ينظمه بالعربية؟؟ وكانت قصيدته في ذكرى الفردوسي نادان بالفارسية.؟؟

شخصية الزهاوي هي التي تعشش في هذه الكلمة ، وهي موزعة بين (النفس) من جهة العقل والفكر من جهة اخرى والقلب والشعور من جهة ثالثة: فنفس الزهاوي صوفية يذكرك قول الزهاوي فيها باقوال الحلاج وغيرها من العارفين والمتصوفة واهل وحدة الوجود:

يا روح هذه الدنى
شرارة منك انا قد استطارت تبتغي
لنفسها ان تعلنا
ان يصيص كله
من بعض ذلك السنى
انك انت الكون
والذي له قد كونا
يا لك من مهندس
بنى الدنى وما ونى
ما انا الا انت محسوسا (م)
فهل انت انا؟
منك انبثقت بعدما
فيك كمنت ازمنا
فكنت طورا خافيا
وكنت طورا بينا
وسوف ابقى بك من
بعد الردى مرتهنا
وليس موتي غير
تغييري فيك السكنا
وليس في انتقالتي
منك اليك من عنا
فلا انفصال عنك لي
هناك كنت ام هنا

وهو يرى ان الطبيعة نفسها هي وحدة الوجود فيقول وكانك تلمح عينية ابن سينا في النفس في تضاعيف ابياته:

اجد الحياة من الطبيعة تنبع
والى الطبيعة بعد حين ترجع
تبدو وتخفي في الطبيعة نفسها
كالله في اعمالها لا تهجع

لست بحادثة ولكن صورة
قدمت – كمبدعها – فجل المبدع
لاشيء عن حضن الطبيعة فاصلي
هي مبدئي وقراري والمرجع
انا لسن منها غير جزء قد جثا
في نقطة من ارضه يتطلع
انا طفلها المولود في احشائها
وقدرها في كل حين ارضع

وينتقل من تعابير الصوفية واهل الطبيعة الى مذهب الفلاسفة من اتباع الافلاطونية الجديدة والتسلسل:

سوف نبقى الاعراض منفعلات
لم تنفي في الجوهر الفعال
ثم تبدو وليدة من جديد
ثم تخلي على سبيل التوالي
اتصلنا ثم انفصلنا فمن لي
باتصال يبقى بغير انفصال؟؟

واما الناحية الفعلية والفكرية من شخصيته فخير ما يظهرها قوله :

يسألني عن مذهبي وعقيدتي
فريق من الاشياخ ما انا منهم
فقلت لهم: اما السؤال فبارد
واما جوابي فهو اني مسلم
ولكنني ما كنت يوما مقلدا
يرى ان حكم العقل في الدين مائم
فما لقلب مني بالسخافات مولع

ولا الرأس مني بالخرافات مفعم
جددت فما ارعان القوم سمعهم
وليس وراء الجد الا التهكم
والحق ان ناحية التهكم عند الزهاوي من ابرز نواحي شخصيته وهي في مجالسه الخاصة واحاديثه العادية مثلها في شعره وبعض رباعياته. فهو مشهور بالسخرية وروح الدعابة وظرف المجلس وفن التحدث، قال يخاطب وزيرا:

سقطت فلا تحزن على ما فقدته
فما انت بين الساقطين باول
فكم من وزير كان قبلك قد هوى
"كجلمود صخر حطه السيل من عل"

وهو القائل لاحد الكذابين:

ومدع بحياة البحر معرفة
ما حازها احد في الاعصر الاول
فقلت: صف لي كيف الحوت ممتحنا
فقال لي: الحوت ذو قرنين كالجمل

وقال:

قل لمن ازعجته زندقة لي
سيدي انت لا تكن زنديقا
فلماذا تكون انت حنيفا
ذاك امر له مساس بنفسي

واما مفتاح القلب والشعور في شخصية الرجل ...

حقا لان رجلا كالزهاوي اصطلحت عليه العلل
والاسقام منذ شبابه من جهة ودرف على الثمانين

من جهة اخرى خليق به الا يحسب للعاطفة حسابا كبيرا. والا يلهج بها لهجا متواصلا من كان في مثل مقامه المرموق وفي مثل مكانة اسرته وفي مثل الزمن والمحيط اللذين نشأ بهما، ولكن الرجل بقي وفيا لنزعات قلبه وخفقات احساسه حتى نهاية عمره، فاحب الحياة وشغف بمتعتها ولم يكتم ذلك بل عبر عنه بصراحة ووضوح وقسوة وخص بذلك الفنانين والفنانات الذين قدموا العراق فقال لفاطمة رشدي بفتوة وارحية وروح ممراحة:

ان الفراق لحادث
صعب وانت به خبيرة
ليس الحديث عن الهوى
من شاعر شيخ جريره
ولنغتبط بالفن ان (م)
حياتنا هذي قصيرة

وانني بقصائده على سامي الشوا ويوسف وهبي ومحمد عبد لوهاب وهو الذي يخاطب المطربة نادرة مداعبا ومفاكها:

اميرة الفن تحياتي
اليك عاطرة
وكني لشيخ قد صبا
الى الجمال عانرة
لاتحسبي الشيوخ
امثال الرسوم الدائرة
وهل اذا النفس صبت
في الشيخ فهي وازرة؟؟

لم تحل ام كلثوم بغداد لاول مرة سنة ١٩٣٢ فيكون حلولها مهرجانا فنيا وموسعا اديبا، فهي تتحف الجمهور بافانين الغناء، وينظم لها الشعراء عقود الثناء ينشرونها في الصحف ولكن الزهاوي يبادر الى اعتلاء خشبة المسرح في ذلك الحفل الحافل في تلك الليلة البيضاء ويلقى قصيدة عصماء طويلة من بحر واحد وقواف مختلفات يعبر فيها عما يعتلج في نفسه وعما يعثمل في صدور الحاضرين من الانفعالات ومن حب الحياة ممثلة في الفن الانيق والشدو الرقيق.

الفن روض انيق غير مسؤوم
وانت بلبله يا ام كلثوم
لانت اقدر من غنى بقافية
لحنا يرجعه من بعد ترنيم
اني اخاف افتنانا فيه مفتضحي
فانما أنا شيخ غير معصوم
سلي بي القوم قبل اللوم باحثة
وبعد ذلك يا لوماتي لومي
لا تقزع الكاعب الحسناء من كلمي
فان تصل سهمي غير مسموم

ويطرب الجمهور لهذه الاريحية فيشتد التصفيق ويعلو الهتاف من الشاعر رغم تقدمه في السن ويستعاد البيت ويرد الشاعر الى الجمهور التحية يمثلها بل باحسن منها:

يا ام كلثوم غني فالهوى نغم
تلذه الشيب والشبان كلهم
من اجل صوت رخيم منك يسمعه
يا ام كلثوم جاء الجمع يزدحم
قد هزه صوتك المولر يطره
فهاج كالبحر ذي الامواج يلتطم

وتهتز كروانة الشرق لهذا الثناء اهتزاز سامعيها لذاك الغناء. ويستمر الشاعر في انشاده، غير انه يلاحظ ان هناك جماعة من الادباء يعرفهم كانوا يستعيدون ابياتا لا تستحق الاستعادة ويهملون استعادة الابيات الجيدة يعابثونه ويداعبونه قاسرها لهم في نفسه واستمر:

يا ام كلثوم لنا امة رزحت
رحت المصائب اجيالا فسلينا
حملت ما يعجز الفتيان محمله
وما ابن عشرين صنو لابن سبعينا

وحين قال:

اني دخلت حجيمي قبل اخرتي
ونقت في العيش زقوما وغسلينا

صاحبت تلك الجماعة: اعد يا استاذ اعد فاجابهم:

يا ام كلثوم حييناً مغردة
حيي الملائك منا والشياطينا
بلى جننا بلحن قد شدوت به
وقبل ذلك ما كنا مجانينا
ماذا علي اذا اليت في كبري
الا اغازل الا الربرب العينا

وتكون نتيجة المغازلة قلة ينقر بها بلبل الشعر في العراق جبين كروانة الغناء في الشرق وارجو ان تغفروا لي هذا التعبير فان المرحوم الزهاوي هو القائل:

لو لم اكن ذا لحية وسدارة
لحسبتني طيرا من الاطيار وحين انكر عليه بعض الناس هذه الخفة التي لا تليق بالوقار في زعمهم، واتهموه بانه طالب شهرة من وراء تصرف كهذا اجابهم مؤكدا حبه للحياة والفن وتعلقه باسبابها:

يقولون شيخ جاء ينشد شهرة
فهل شهرتي ضاعت فاصبح ناشدا
يريدون ان ابقى اذا الصوت رافني
لفنانة مثل الحجارة جامدا
يريدون ان احيا بعيدا عن الهوى
فلا تبتغي عني الحسان النواهدا
يريدون ان لا اهبط الروض منصتا لشاد وان لا
اطري الزهر حامدا
وقد كنت في دنيا الي حبيبة
وان كدت استوفي الثمانين زاهدا
اجل كنت (عينا) في زمان ونائبا
ولكنني ما كنت للذوق فاقدا
سابقى لنفسي من حياتي متعة
واعلم اني لست في الارض خالدا
ولكنه سيخلد.

وعلى ضوء ما كتبه فؤاد عباس، كتب الاستاذ مشكور الاسدي (صحفي راحل) ما يلي:

لم يسكن الزهاوي شاعرا حسب، بل كان شاعرا وفيلسوفا، ولعل جانب التفكير الذي طغى على شعره جعل هذا الشعر مما لا يقبل عليه كثير من الناس، هذا الى جانب العوامل الاخرى التي كانت حربا على الشاعر وعلى شعره في العهد القريب الذي عاش فيه الشاعر الكبير، فكسدت سوق دواوينه وكتبه، ثم جاءت الحرب، فكانت لغنا على ابالة: فباع الناشرون مخلفاته المطبوعة في الاسواق، وجنوا من ورقها ما املوا من ربح حين طبعوها اول الامر، فليس غريبا ان لا يجد المرء بغيته من آثاره حين ينشدها اليوم وان وجدها فبائمن الغالي ومن ثم ليست ندرتها لانها يبعث كتبا ودواوين بل لانها بيعت بالوزن ورقا، لقت به العطارون والبقالون بضاعتهم، هذا ما حدثني به بعض العالمين في سوق الوراقين عندنا في بغداد.

كان الزهاوي ذائع الصيت في البلاد العربية بما نشر من قصائد ومقالات في صحفها وخاصة مجلة المقتطف، واخيرا الرسالة وكان له في تلك البلاد اصدقاء اوفياء يعرفون قدره ويذيعون فضله، وعند ما زار مصر احتفى به احرارها ومفكروها، ومن اغرب ما حدثني به في القاهرة الدكتور زكي مبارك رحمه الله ان الزهاوي كان يطمع بان يكون شاعر البلاط المصري وسعى لهذا خلال زيارته تلك فلم يوفق في مسعاه، غير اني اشك في صحة هذه الرواية واستبعدها، وقد سألت بالامس في ذلك الاستاذ رفائيل بطي، الاديب الكبير ونائب بغداد، فاستبعدها كذلك ونفى ان يكون الزهاوي حاول تلك المحاولة، وقد اودع الشاعر لدى صديقه الاستاذ سلامة موسى ديوانه المخطوط "نزغات ابليس" واوصى بان لا يطبع الا بعد وفاته بخمسين سنة. وقد رجوت الاستاذ سلامة موسى ان يطلعني على الديوان فذكر لي انه اعطاه الى الدكتور الشاعر احمد زكي ابو شادي فاخذه هذا معه الى امريكا حين هاجر اليها، ولا شك ان في الديوان مالا يستساغ اليوم اشره من الخواطر الدينية والاراء الفلسفية.

قرأت اكثر شعره، واعدت قراءته هذه الايام، فبدا لي منه ان الزهاوي كان ينظم الشعر على رسله، وطوع طبيعته لم يتعمده، ولم يتصنع فيه فجاء كثير منه قريبا من ان يكون نثرا، ولهذا لسبب فان طاقته الشعرية لم تكن محدودة، كان الزهاوي يتنفس الشعر تنفسا، كما يعبر الدكتور ابراهيم ناجي، وهو بعد لم يعن ان يقول "نظما" بقدر ما كان يعني بان يقول "شيئا" و"هكذا اصبح الشعر عند الزهاوي وسيلة للتعبير عن افكاره ولاابانة عن احساساته ومشاعره" فجانب التفكير في شعره ابين واوضح. ولهذا كان شعر من نوع مبتكر .

والشعر يكبر اما كان مبتكرا والشعر لاينيغي في الشعر تقليد وهو في شعره التكفيري – ان صح التعبير – صدر عن اغراض شتى ، فهو وطني وفيلسوف ورياضي وصوفي وسياسي ووجداني واجتماعي وفلكي.

ليس على الله بمستبعد
ان يجمع العالم في واحد!!

وهو في كل ذلك مجدد غير مقلد، منطلق غير جامد..

حشروني والجامدين على ما
اخذوا من ابائهم في صعيد
اني منذ كنت اشدو بشعري
كان يوحي الي بالتجديد
انا لا ادعي الزعامة فيه
غير اني ابث فيه وجودي

وقد جمع الزهاوي نفسه اغراض شعره، او كاد في هذه الابيات:

لا اغالي فربما قلت شعرا
لم اكن في قرضي له بالمجيد
ليس في الارض شاعر اقدنجا في
كل ما قاله من التفنيد
منه بكر يطري ومنه عوان
لم تحز رتبة الكعاب الخريد
قلته لاهيا به في شبابي
من هموم الهوى وبرح الصدود
يوم للغيد كنت اصبو ومن ذا
ليس يصبو الى الحسان الغيد؟
ثم ارهقته فكان سلاحي
ثم غنيته فكان نشيدي
ثم صيرته مجنا يقيني
في "فروق" من شر عبد الحميد
ثم اودعته حقائق تسمو
فاني جامعا لكل مفيد
حكم تهدم التقاليد قد كا
نت تراعي من اهلها للجمود

ومن الاغراض التي نظم فيها: مما لم ينشر الاهاجي المقذعة، حين يضطر اليها في رد عادية المهاجمين، فتناقلها الالسن عنه وهو جالس في قهوته المفضلة في شارع الرشيد، وقد سميت اليوم باسمه، وقد وقفت على بعضها لدى الاستاذ رفائيل بطي ويلغت في صراحتها واقذاعها الشأ والبعيد، إلا انها مع ذلك، تمتاز بالملعية الفنية، فهي ليست سبابا وحده.

وفي دواوين الزهاوي اشعار كثيرة يتحسر الشاعر فيه على ما لحقه من غبن الزمان، وكيد الاعداء.. ويعتب على الدهر، ويشكر فراق الشباب، وكثرة الاسقام، وينتظر الموت..

اشكو الى الله تعسا لا يفارقني
كأنه بي حتى الموت معقود
داء عقام واوجاع مبرحة
وفوقهن من الاشرار تهديد
لم يبق لي غير باب الموت منفتحا
وكل باب سواه فهو مسدود

وفي ١٩٣٢ قال في قصيدة:

يا ايها الشعر ودا
عاً فرحيلي اقترب
ان فراقي لك يا
شعر فراق من احب
يا شعر انت خاله
البك لا يرقى العطب
اما انا فذاهب
عنك كما غيري ذهب
الموت خير من حيا
ة كل ما فيها نصب

وفي يوم من ايام عام ١٩٣٣ اغمى عليه في نوبة اصابته وهو في السوق فجعل الى داره، وبعد ان استفاق، نظم قصيدة طويلة بعنوان "احساساتي" نعى فيها نفسه وودعها:

ليس من هذا الموت يانفس بد
فهو للناس من تراث الجدود
يا اماني فارقيني ويا نفس
وداعا ويا حشاشة جودي
بعد ايام قد تقاربن مني
انا يا نفسي لا محالة مود

والقصيدة من اروع ما نظم الزهاوي، ونشرت في ديوانه الخامس "الاوشال" وهو آخر ديوان اشرف بنفسه على طبعه، وصدر بعد وفاته الديوان السادس والاخير وهو "التماثه" يشتمل على ما لم يدرج في دواوينه من شعر الشاعر.

وقد كرر في قصائده التي نظمها بعد هذه القصيدة ذكر الموت وانتظاره له. مما لسنا في سياق التبسط في هذه الناحية المهمة من نواحي حياة الشاعر وشعره، والزهاوي متعدد الجوانب، ثر المعاني، كثير الاغراض، انه بحر وسيع، ذو افق بعيد..

وهذه ١٧ سنة مرت على وفاة الشاعر المنسي المغبون، ولم يكتب عنه شيء ذو بال.

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
انيس ولم يسر بمكة سامر

واثاره كما تقدم.. ليس لها وجود. فما احرى ان نطبع مرة اخرى.. ليقرأها شداة الادب اليوم، ويعرفوا اي شاعر كان الزهاوي.. الذي لم يذكره صحبه.. صحبه الذين هتف بهم حين نعى نفسه في قصيدته "احساساتي" فقال:

انا يا صحبي واحدا كنت منكم
فاذكروني ولا تناسوا عهودي
انا في قبري اليوم عنكم بعيد
وانا عنكم فيه غير بعيد
واذا كان للفقيد بقلب
خافق مثوى، فهو غير بعيد

رحم الله الزهاوي الفقيد.. وغير الفقيد..

اما الاستاذ مصطفى علي من اشهر مناصري الشاعر الرصافي، الا انه في هذا المقال يكتب منافحا عن غريمه الشاهر الزهاوي.

بعث الاستاذ الكبير مصطفى علي رسالة الى الاستاذ مير بصري يعقب بها على المساجلة التي دارت بينه وبين الاستاذ محمود الملاح حول اراء الزهاوي ولاهمية هذه الرسالة نقدمها للقراء:

اخي الكريم ابا نورا،

قرأت بشغف ما جرى بينك وبين الاستاذ محمود الملاح من مطارحة شعرية نفحتني بها متفضلا. قرأتها بما تستحق من اعجاب وامعان فحفزتني الى ان اتخذ لي موقف بينكما.. لا موقف حكم متطفل لم يدع للتحكيم، ولا موقف مشارك في مطارحة يقعد به بيانه عن مجاراة المتطارحين في مضمار الشعر، بل موقف من يبدي رأيه في منحى ادبي اطلع عليه واستوعبه، وكل قارئ حر في ان يبدي ما يعن له فيما يقرأ.

رأيتني اتفق وايا كما في معظم ما نزعتما اليه، واخالف في رأي واحد.

اوافق الاستاذ الملاح في ان الزهاوي كان يتصيد الشهرة في شعره. بل في كل ما يصدر عنه، واخالفه في نعته اياه بالمنافق والمتلون. فالشاعر فيما ارى، لا يحاسب على ارائه المتناقضة، وانما يحاسب على الاجادة فيما ينظم، والا فاي شاعر يبرا من التناقض في شعره! واوافقك على انه شاعر اثرت فيه نظريات شتى ، ولعبت به اراء متضاربة حيرته وخلقت منه شاكا تارة ومؤمنا اخرى. ولا عجب فالشاعر ابن عاطفته المرهفة يتنازعه عاملا شعوره وحسه!

واوافقك على ان برأته من النفاق، فالزهاوي لم يقصد بما نظم ان يعد في المؤمنين او الكافرين ليجوز لنا ان نسبغ عليه صفة النفاق فنعتبره منافقا في المؤمنين او منافقا في الكافرين. ان كل ما كان يهدف اليه ان يعد في الفلاسفة، وفي الشعراء المجددين فينال الشهرة التي اتعب نفسه سعيا وراء الظفر بها، وقد نالها في حياته وبعد موته.

ارى ان الجبن اولى ان يوسف به الزهاوي من النفاق. فجبنه هو الذي جعله ينتقل بين الايمان والكفر فلا يستقر على رأي، ولا يقف عند حد.

حضرت كثيرا من مجالسه فرأيته يتردد ويتلكأ ، ويلتفت يمينا وشمالا اذا ما حاول ان يبدي رأيه السياسي، او معتقده الديني في قضية مرض ذكرها في مجلسه.

ذلك لانه كان حذرا لا يبوح بارائه الا اذا من جانب الحاضرين واطمان اليهم. فهو جم الشكوك سيء الظنون بالناس، يخالهم جواسيس وعيونا يترصدونه ويحصون عليه انفاسه. ومهما يكن من امر الزهاوي فنزعاته هي التي دعتكما الى مطارحتكما الشعرية الجميلة فهي اذن من واحيه والهامة.

وشعره هو الذي انبط قرائحكما فجاءت بهذا الشعر العذب الرقيق.

وبعد، فهذا ثناء يرضي الزهاوي، تهش له نفسه، وتبرق اساريره غبطة وسرورا، لو امكن ان يمسعه لطرب له، وفرح به ، ونتقبله ولو كان من مصطفى علي.

جريدة البلد سنة 1966

صورة تجمع الزهاوي بالدفتري

لا.. لم يكن الزهاوي منافقا! ولكن حب الشهرة ورطه فيما اعلن من الآراء

مجالس الآدب في بغداد في لقاء مع عميدها

250 مجلساً عامراً خلال مئتي عام ما خبت قناديلها ليلة واحدة

في بيت من هذه البيوت كانت تعقد مجالس بغداد القديمة

ابراهيم القيسي
صحفي راحل

عندما يمر على البال ذكر المجالس الادبية، عبر التاريخ العربي والاسلامي، تزدحم المخيلة بالصور والمشاهد، عن تلك الندوات الثقافية العامرة، التي زخرت بها المجتماعات ، وكانت مصادر اشعاع وعطاء للفكر الانساني المبدع في ارقى مراحل نضوجه، ومراتب تحرره العليا.
وقد يكون حديث تلك المجالس، وما دار فيها وتردد في جنباتها واجوائها، عبر القرون الخوالي، من اصداء خلدت بعضها الصحائف والاوراق ، هي من امتع الاحاديث الادبية، والمناظرات العلمية ، وانفعها، ومن اطولها واوسعها، واكثرها رهقا وعنتا ايضا، لانها الصق بحياة الناس، واوثق بمصالحهم، خاصتهم وعامتهم، اميرهم وقائدهم، عالمهم واديبهم وشاعرهم وفيلسوفهم وكاتبهم. واقربها وايسرها الى انماط عيشهم، واظرف واطرف ما دار في قصورهم، ودواوين عملهم، واماكن عبادتهم وتعلمهم، ومراتع لهوهم وسمرهم ومساجلاتهم.

والمجالس هي مدارس، يستفيد منه المعلم والمتعلم، وتشيع اخبارها بين الناس، حاضرا ومتغيبا.
قال المرحوم الزيات صاحب (الرسالة) في اصل هذه المجالس.
"كان للعرب اسواق ومجالس وندوات، ينتقلون من بعضها الى بعض فتدعوهم طبيعة الاجتماع الى المقارضة بالقول، والمغاوضة في الرأي والمبادهة بالشعر، والمباهاة بالفصاحة، والمفاخرة بالمجامد وشرف الاصل، فكان من ذلك للعرب معونة على توحيد اللسان والعادة والدين والخلق، اذ كان الشاعر او الخطيب انما يتوخى الالفاظ العامة والاساليب الشائعة. قصدا الى افهام سامعيه، وطمعا في تكثير مشايعيه، والرواة من وراثه يطيرون شعره بين القبائل، وينشرونه في الانحاء، فتنتشر معه لهجته وطريقته وفكرته".
ولا مناص للذاكرة، وهي في لحظات تطوافها في الماضي البعيد من ان يقتحم اسوارها شيخنا الجليل ابو حيان التوحيدي، بكتابه الفخم (الامتاع والمؤانسة) الذي الفه لابي عبد الله العارض، وزير صمصام الدولة البويهي، لما تقلد زمام الامور بعد وفاة والده عضد الدولة، وجمع فيه احاديث السمر الثقافي التي طرحت في مجلسه في ثمان وثلاثين ليلة. هن الليالي الشائقات الرائقات.

فقد كانت له ندوة يجمع فيها العلماء والبلغاء وارباب القلم، بينهم ابن زرعة الفيلسوف ، ومسكويه ، وابو الوفاء المهندس، الذي قرب ابا حيان من مجلس الوزير وجعله من خاصته، وهو احد الائمة المشاهير بعلم الهندسة – كما ذكربن خلكان– .
ورد على لسان الحسن بن سهل، وزير المامون، قوله:
"الاداب عشرة ثلاثة عربية ، وثلاثة شهرجانية، وثلاثة انوشروانية، وواحدة اربت عليهم جميعها، فاما العربية فالشعر والنسب وايام الناس، واما الشهرجانية فابناء واللباس والبهرجة، واما الانوشروانية فضرب العود ولعب الشطرنج ولعب الصوالج، واما الواحدة التي اربت على الجميع فمقطعات الحديث، والسمر، وما يتلقاه الناس بينهم في المجالس".
وهذا يعني ان مجالس الادب هي تلك المنتديات التي كان يقصدها الناس، يتبادلون فيها الرأي، واطراف الحديث، وقد يكون هذا الحديث خبرا او عطلة، او خطبة، او نكتة ادبية او لغوية ، او محاورات ومناقشات كلامية او فلسفية.

وذكر الدكتور خليل ابراهيم ظاهر في مجلة (افكار) ان (المقامة) اطلقت مجازا على ما يقال في المجلس من حديث او محاضرة تستوعب جلسة واحدة. وقبل المقامة هي المجلس، يقوم فيه المحدث يحض على فعل الخير.
وعقد بن قتيبة في كتابه (عيون الاخبار) فضلا سماه (مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك)، ويريد بها (المجالس) منها مقام خالد بن صفوان بين يدي هشام، ومقام عمرو بن عبيد بين يدي المنصور... الخ.
واطلقت كلمة (المجلس) بوجه عام على ما يدور من احاديث كمجالس ثعلب، ومجالس الزجاجي، واطلقت ايضا على مكان الدرس، حيث اطلق الشريف المرتضى على مكان الدروس التي القاها على تلامذته (المجلس) او (مجلس الدرس).
ويعتبر سوق عكاظ في الجاهلية من المجالس المشهورة في حياة العرب، ومثله مجنة وذو المجاز، كانوا يتبادلون فيها الرأي والخطب وتلقي قصائد الشعر، وتبحث امور التجارة وما الى ذلك، وعرفت مثلها المربد في البصرة والكناسة في الكوفة، وقد قيل في هذا: "العراق عين الدنيا، والبصرة عين العراق، والمربد عين البصرة".!

وقد عرفت الحيرة على عهد ملكها عمرو بن المنذر الثالث، المجالس تعقد فيها حلقات الادب والشعر والمذاكرة. ولابد من الاشارة الى (دار الندوة) حيث كانت قريش في جاهليتها تجتمع فيها للمشاورة والمسامرة.
اما اول مجلس عرف في الاسلام، في بداية الدعوة ، فكان في دار الارقم بن ابي الارقم، حيث اختاره رسول الله (ص) حين اربى عدد الذين دخلوا الدين الجديد على الثلاثين، يلتقي بهم فيها لحاجات الارشاد والتعليم، منهم: علي وزيد بن حارثة مولاه ومتبناه، وابو بكر ، وعثمان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن ابي وقاص. ثم وثل العدد الى اربعين بين رجل وامرأة، بينهم خديجة بنت خويلد، وعامة هؤلاء من الفقراء والارقاء وممن لا شأن لهم بين قريش.
ثم اتخذت المساجد مجالس للتقاضي، وحلقات المدرس والمناظرة. وكانت حوانيث الوراقين والنساخين والخطاطين والمزوقين وباعة الكتب، في العصر العباسي مجالس للثقافة، وملتقى الادباء وارباب العلم.
وكان الخلفاء يعقدون حلقات المناظرة والمناقشة بين كبار العلماء في الاجنحة الفخمة من قصورهم، و(دار الشجرة) هي خير شاهد ودليل، فهي إحدى حجرات قصر الخليفة المقتدر في بغداد، كانت مجلسا للادباء والعلماء، فيها شجرة من ذهب، اعصانها من فضة، عليها طيور تغني كلما دخل زائر.
وكثيرا ما شهدت تلك المجالس من مفارقات ومشاحنات ومنازعات، منها مثلا ما وقع في مجلس ابي يوسف، عندما وجد بين حضور مجلسه شابا كان يلتزم جانب الصمت، لايسأل ولا يناقش، فحين سأله عن ذلك، اعتدل الشاب وقال: نعم، سأسال الان... اخبرني سيدي القاضي، متى يفطر الصائم؟
ففرح ابو يوسف وحسب ان الشاب جاد في سؤاله، فاجابه: عندما تغرب الشمس، وهنا سأل السائل: فان لم تغرب؟! فادرك قاضي القضاة جهالة هذا الشاب، ولماذا كان يسكت طوال النهار، فتمثل بقول الشاعر:
والصمت زين للغبي وانما
صحيفة لب المرء ان يتكلما!

وكذلك ما وقع لابي العلاء المعري في مجلس الشريف المرتضى، حين انتقص من مكانة المتنبي، فانتصر له ابو العلاء، وقال: لو لم يكن لابي الطيب من شعر الا قوله (لك يا منازل في القلوب منازل) لكفاه، مما اغضب المرتضى وامر باخراجه من المجلس، وحين سأل عن ذلك قال: اراد ابو العلاء ان يذكرني بقول صاحبه المتنبي في ذات القصيدة:
وإذا اتتك مذمتي من ناقص
فهي الشهادة باني كامل
وفي (النظرة العجلى) للاستاذ عبد الحميد العلوجي، وهي المقدمة المليئة لكتابه (المواسم الادبية عند العرب) الذي صدر عام ١٩٦٥ بمناسبة انعقاد مؤتمر الادباء العرب في دورته الخامسة في بغداد، عرض موسع للمجالس الادبية عبر تاريخ امة العرب، ابتداء من اسواق الجاهلية ومرورا بعصر الرسالة والخلفاء الراشدين، والعهود العباسية والاموية والاندلسية، وانتهاء بايام بغداد زمن العثمانيين، ثم عهد الاحتلال الانكليزي، فالاستقلال. فاني بهذه النظرة الفاحصة بعين اخبار المجالس التي اشتهرت، وصارت كتب الادب تتناقلها من جيل الى جيل، كاحلى ثمرات الفكر العربي الاسلامي المتفتح وابدع نماذج المناظرات في فنون العلوم والمعارف والاداب الانسانية.
فتاريخ الادب العربي يذكرنا بتلك المناظرات التي جرت في مجلس الوزير ابي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات، ومجلس ابي الفضل ابن العميد، ومجلس الصاحب بن عباد الذي كان من اشد الحكام اقبالا على عقد المجالس الادبية، حتى انه حين ورد الري مع مؤيد الدولة سنة ٣٥٨ هـ في مهمات وحوائج، عقد مجلس جدل في داره (بباب سين) حضره افذاد الادب مثل الضرير ابي العباس القاضي، وابي الجوزاء الرقي، وابي عبد اله النحوي، وغيرهم ، وهو الذي ناظر في بغداد المراعي (عسى ولعل) وناظر في حضرته ابا الفرج البغدادي الصوفي في وساوس الصوفية وخطراتهم.
ولم تحرم المرأة من مجالسها الادبية الخاصة، واذا كانت مجالس الرجال تقتصر على الرجال وحدهم فان مجالس النساء كانت تسمح بمشاركة الرجال ايضا.
كانت سكينة بنت الحسين (رض) سيدة الناقدين، فهي حكم الشعر الذي لايرد حكمه، وكان الشعراء يتوافدون على مجلسها، منهم ، جرير والفرزدق وكثير وجميل ونصيب، فتنتقد لكل شعره ، واخذت عليه ماخذه.

وكانت عائشة بنت طلحة تتأثر خطوات سكينة في نقد الشعر، كما كانت عمرة الجمحية يجتمع عندها الشعراء والرواة في دارها.
وكان مجلس عليه بنت الخليفة المهدي معقودا على نقد الشعر في اكثر الاحايين، مثله كان مجلس دنانير (البرمكية) ت ٢١٠ هـ.
وفي الاندلس كانت حفصة بنت لحاج الركونية (ت ٥٨٦ هـ) احدى شريفات غرناطة، وقد بعثها ابن بشكوال باستاذة وقتها.
ثم مجلس الاميرة الشاعرة الولادة بنت المستكفي (ت ١٠٩١ م) في قصرها في قرطبة، وانني اشتهرت اخبارها مع الوزيرين وابن عبدوس وعرفت بعذوبة شعرها ورقته.
وفي مصر، على ايامنا المتأخرة، عرف صالون مي •ماري الياس زيادة) الذي كان ملتقى الادباء والكبراء والساسة، في مقدمتهم المرحوم العقاد.
حتى اذا ما اختصرنا قصة المجالس الطويلة ، الا انها غير مملة – لضرورة الاختصار حسب – نجد انفسنا بين معالم بغداد، في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، بما بقي فيها ولها من حضارة، ومن مفاخر وامجاد ، وبالنسبة للمجالس الادبية (حصرا) ليس بين ايدينا غير مرجع واحد، نستعين به ونسترشد، ولحسن الحظ كان مرجعا فيما يفيض بالمعلومات ، ذلك هو كتاب المرحوم ابراهيم الدروبي (البغداديون، اخبارهم ومجالسهم) مطبعة الرابطة ١٩٥٨. فقد ذكر المرحوم الدروبي فيه (٢٢٣) مجلسا شهدتها بغداد وحدها في العصور الاخيرة.
وبالمناسبة واستكمالا للبحث نذكر ان الاستاذ الشاعر راضي مهدي السعيد اصدر عام ١٩٧٠ كراسا صادرا بعنوان (المجالس والندوات الادبية في الكاظمية) اورد فيه نحو عشرين مجلسا وندوة ادبية في الكاظمية وحدها سنشير اليها فيما بعد.
كانت تلك المجالس، منذ العهد العثماني، حتى السنوات القليلة الماضية من تاريخ العراق الحديث، تعمر بالعديد من رجالات الفكر والقلم. واكابر موظفي الدولة، يجتمعون في بيوت اشتهر اهلها بالصلاح وحب العام ورعايته، والمذاكرة في مسائل الادب واللغة، الى جانب كونها موئل خير وفضل لعامة الناس، يلوذون باصحابها يلتمسون عونهم ومساعدتهم.
ومن طريف ما طالعناه في هذا الصدد، ما كتبه الاستاذ نجدة فتحي صفوة في كتابه الصغير

الجزار الذي ذبح الحمام الزاجل وحمل زكائب البريد و(مختار الصحاح) وتصدر مجلس الدكتور القصاب؟!

العراق عين الدنيا.. والبصرة عين العراق.. والمربد عين البصرة!

الكبير (خواطر واحاديث في التاريخ) من ذكرياته مع المرحوم الاب انستاس ماري الكرملي. قال: ان صديقه واستاذه المرحوم روفائيل بطي، عرض عليه ان يصحبه في زيارة الى مجلسه، فوافق مسرورا. وكان الاب يستقبل زواره في كنيسة اللاتين صباح كل جمعة، فلما دخلا المجلس وجداه عامرا بمجموعة من الاصدقاء، معظمهم من المعنيين بالادب واللغة والتاريخ. وحين تكررت زيارته للمجلس عرف الذين كانوا يواظبون على الحضور في تلك الفترة هم: المؤرخ والمحامي عباس العزاوي، واخوه المحامي علي غالب – وكان ضريرا – والمحامي يوسف المولى، والشاعر كمال عثمان، والمحامي مهدي مقلد (رحمهم الله جميعا)، والاساتذة احمد حامد الصراف – فيما يظن – وكوركيس واخوه ميخائيل عواد، ومير بصري، ويحيى الدباغ، والشيخ جلال الحنفي، واخرون، اما تلميذه الدكتور مصطفى جواد، فكان قد اقطع عنه منذ امد، لجفوة حدثت بينهما – على ما سمع يومئذ : – وكان اول ما لفت نظره في المجلس، رقعة معلقة على الجدار كتب عليها (ممنوع التحدث في الدين والسياسة)، ولا تكاد تخرج عنها.
وعودة سريعة الى كتاب المرحوم الدروبي، الذي هو اليوم اندر من الكبريت الاحمر – على حد قول استاذنا المؤرخ الكبير عبد الرزاق الحسني –، برغم اهميته وضرورته كمصدر مهم لتاريخ المجتمع البغدادي، فالى جانب استعراضه لمجالس هذه المدينة التاريخية الخالدة، جمع معلومات وفيرة عن مدارسها العلمية، القديمة والحديثة ، وعن مجالس الافتاء والوعظ والقضاء. والاقراء والمقرئون، والامامة والخطابة، وكاتيب البنين والبنات، واشهر الخطاطين فيها، ومقاهيها، وخاناتها، وحماماتها، ومقابرها، وابرز مظاهر الحياة الاجتماعية التي يمارسها اهلها في الاعياد والمواسم... الخ.
ومن عجب ان يقعد ورثة المرحوم الدروبي، وفي مقدمتهم ولده الاستاذ خليل الدروبي المحامي عن اعادة طبعه، لتعميم فائدته، واحياء لذكرى صاحبه الرجل الفاضل الذي ترك للمثقفين هذا الاثر الذي لايضاهي.
ويقال ان للشيخ الباحث يونس السامرائي محاولة جديدة في هذا الباب ننتظر ولادتها بفارغ الصبر.
واذا كانت مجالس بغداد القديمة قد شهدت شخصيات (متميزة) كثيرة، فان شخصية ظريفة برزت بينها عرفت بالطيبة والرواية الطريفة، والنكتة المستملحة ، والدراية الواسعة بالبيوتات والاسر البغدادية، ما كانت تفارق مجالسها، ولا تتخلى عن مصاحبة اهلها في الافرا او الاتراح، ذلك هو المرحوم توفيق اجانص، مختار محلة الطوب (بباب المعظم من رصافة بغداد)، فان مجالس بغداد، القائمة اليوم ، تشهد هي الاخرى ايضا شخصية مماثلة – من بعض الوجوه – إلا انها اكثر حيوية والمعية واخذا باسباب التطورات الحديثة، ذلك هو الاستاذ عبد الرزاق الجزار.
وحسبنا ان المجالس الادبية، عبر التاريخ ما كان لها ان تنعقد الا بحضور (نقيب المجلس)، الذي يقوم بترتيب الزائرين، وادارة دفة الحديث والمناقشة فيها، كذلك فان عددا من مجالس بغداد لا تخلو من حضور هذا النقيب الجديد، فاذا غاب او تغيب لاي سبب فان كرسيه يبقى خاليا ولا يجرؤ احد على اشغاله.
وفي وقفة مع الاستاذ الجزار، سألناه:
– كيف تتم عملية جمع هذه المعلومات، وطرحها في المجلس، قال:
– ان بريدي الخاص يزدحم بالرسائل واخبار الادب والادباء، ويصلني باستمرار عدد كبير من الصحف والمجلات العربية، من شتى انحاء الوطن العربي، من اصدقاء لي ومعارف هناك، فانتقي اسبوعيا من ذلك البريد المنهمر، واطلع اصدقائي عليه.
– الا تجدون صعوبة في ذلك.
– مع صعوبتها، فانني اجد سعادة اذا شارك اخواني بها، ان احتكار الثقافة صفة غير حميدة.
– وانت (نقيب) مجالس بغداد اليوم، هل لك ان تعدد لنا اولا ابرز المجالس قديما، واشهرها حديثا.
– بكل سرور، الا ان المسألة تطور، ولكن تمشيا مع قاعدة (ما لايدرك كله، لا يترك جله) اذكر لكم ما يلي:
كان في مقدمة مجالس بغداد سابقا، مجالس ال الكيلاني، ولا يقل عددها في كل الاحوال عن عشرين مجلسا، توارثتها الاحفاد والابناء عن الاباء والاجداد، وكانت تعقد في ديوان خاص في الحضرة الكيلانية، وفي بعض بيوتات الاسرة في منطقة باب الشيخ والسنك، وهم نقباء اشراف بغداد
– عرفت هذه المجالس بكونها كعبة القصاد من علية القوم واكابر العلماء الاجلاء، ورجال الحكومة لما اشتهر به اصحابها من مكانة واستقامة وحب للخير، والاسرة الكيلانية الحالية – كما هو معلوم – تمت بنسبها الى شيخ الاسلام السيد عبد القادر الكيلاني (قدس الله سره).
ومن مجالس بغداد مجلس ابي الثناء السيد محمود شكري الالوسي ومجلس ال السويدي، وال الواعظ وال جميل، والشاوي والحيدري، والطبقجلي، والشيخ عبد الرحمن الروزبياني، والشواف ، وعبد الباقي العمري، وال الدفتري ، والرصافي ، وال الزهاوي، وعباس القصاب، وال المميز، وعبد الغفار الاخرس، والشيخ ابراهيم الراوي، ومجالس بيت دله، والسنوي الزيبق والشيخ عبد الوهاب النائب، والقشطيني، ولخنيني.. والمدلل والشابندر، والوسواسي، والريس، والكهبة، والباجه جي، وال الرزيوه لي، والشيخ عيسى البندنيجي، وال الاورفه لي، وال الوتري، وال الخضيري، وفتاح باشا وال المصرف، وال مامو، وال عارف اغا.. والشيخ رضا الطالباني، والشيخ خالد النقشبندي، وال فرهاد، وال الدركزلي ، وحمدي الاعظمي، ومجلس الفريق محمد باشا الداغستاني، والسيد حسن الصدر، وال كبه، والمزاياتي، والمزرقجي، والطالقاني، وكافل حسين، والخاصكي، والشيخ كاظم الدجيلي، ومحمد شرارة، والشبيبي، والفكيكي، والسوز، وال الوتري، وطاهر جلبي ال الراض]، وال التتار، والشيخ عبد الحليم الخاقاني، وفهمي المدرس، وامجد الزهاوي، وياسين الهاشمي، وبيت البزركان، وعب دالله الخياط، والدكتور ناجي الاصيل، والشيخ عبد الحميد الاتروشي، وتوفيق وهبي، وال عواد ، وال عيسائي، وال غنيمة، ومجلس يعقوب سركيس، وال مسكوني، واسكندر اسطيفان، وبنيت جرجي ونازو ومراد الشيخ وغيرها وغيرها.
– وماذا عن مجالس الكاظمية؟
– اشهرها مجلس ال الكاظمي، وال الصدر، ومجلس السيد مجسن الصائغ الوردي، ومجلس مدرسة ال الخالصي، وال ياسين ، ومجلس ال اسد الله.
من طريف ما يذكر من مجلس السيد محسن الصائغ انه كان يعقد اما في بيته، واما في دكانه وكان يحضره شاعر الكاظمية في تلك الفترة ، (١٣١٢ هـ) الشيخ جابر الكاظمي، ومن حضاره الشاعر عبد الباقي العمري والسيد باقر الهندي، والسيد محمد سعيد الحبوبي، والشيخ جواد الشبيبي. اما مجلس ال ياسين فكان يتصدره الشيخ عبد الحسين ال ياسين ثم خلفه ابنه الشيخ راضي، وكان من رواده الدائميين ولده الدكتور عز الدين ال ياسين. وكان هذا من افذاذ الراي والقلم.
– هذا في القديم، فماذا عن الحديث؟
– تشهد بغداد اليوم، وهي تستمتع بكامل حريتها وامنها واستقرارها عددا (لابأس به) من المجالس الادبية، تستقطب اهل العلم والادب والتراث وتجمع شملهم في ندوات صباحية ومسائية، في ايام معينة من الاسبوع، بترتيب يوفر الفرصة لكل من يرغب المشاركة في اكبر عدد منها، يتسامرون ويتناقشون في قضايا الادب، ويطلعون على اخبار الكتب الجديدة التي صدرت في العراق وفي الوطن العربي، وفي الحق فان هذه اللقاءات بين الاخوان احيت، او صارت امتدادا لتلك المجالس التي عمرت باشعاعات من افكار اجدادنا العظام الذين خلفوا لنا هذا التراث الثقافي السابع الذي سيبقى موضع فخرنا واعتزازنا.
اما اشهر المجالس القائمة ليوم بفضل كرم وسخاء اصحابها والتي كانت قائمة الى الامس القريب فمنها:
مجلس الدكتور عبد المجيد القصاب، مجلس الاستاذ مكي السيد جاسم، مجلس الدكتور عبد الحميد الهلالي، مجالس الاساتذة شريف يوسف، وحازم المفتي وخيري العمري، واحمد محمد يحيى ، وعبد الرحمن التكريتي، وعلي كاشف الغطاء، والشيخ عبدالله الشيخلي، والشيخ عمر العزي النقشبندي، وخالد الشواف، وناجي طالب، وغيرها.
–من هم – على وجه الاجمال – ابرز الاشخاص الذين يترددون على هذه المجالس او بعضها؟
– سنضطر لخلط القديم بالحديث، وربما الاموات بالاحياء، على ان الرابطة التي تجمعهم هي حبهم للادب وللكتاب ولدواوين الشعر وللمخطوطات المحققة، وكل اصحاب هذه المجالس يقومون بواجب الضيافة نحو ضيوفهم، وينتهز الدكتور القصاب فرصة وصول شخصيات عربية الى بغداد ، فيقيم على شرفها ولائم التكريم في داره، كما فعل عند حضور السادة الدكتور عبد الهادي التازي، وروكس بن زايد العزيزي، ومحمد الحبيب عباس والحبيب نويره (سفير تونس في بغداد) وسليمان موسى وحسني سليم الى ديارنا.
اما اشهر الوجوه التي تتردد على هذه المجالس فتذكر منها:
د. محمد حسين الزبيدي، سالم الالوسي، نعمان ماهر الكنعاني، موفق العمري، نجم السعدون ، قاسم السماوي، عبد المجيد الباجه جي، عبد الرزاق الهلالي، الشيخ عبود الهيمص، حميد الرشودي المحامي، ناجي جواد الساعاتي ، سليم طه التكريتي، حميد المحل ، جاسم الرجب، حارث طه الراوي، سالم سليمان، عبد الله الصوفي، محمود شويلية، مصطفى عبد اللطيف ، محمد الصادق الصدر، د. علي الصافي، احمد حامد لصراف، عبد اللطيف الكمالي، سلمان الصفواني، د. جابر الشكري، حسين المؤمن، الحاج طالب فليح، صادق التكريتي، عبد الصاحب المختار، سعدون ناجي القسطيني، صبيح القشطيني، هام خليل، محمود شوقي الحمداني محمود علي المان، الشيخ جلال الحنفي، د. كامل مصطفى الشبيبي، د. مصطفى كامل ياسين، عبد الهادي الظاهر، كامل الكبيسي ، محيي الهيمص، ناجي عيسى الخلف، ناجي عب دالصاحب، كوركيس وميخائيل عواد عبد الرزاق البصير (الاديب الكويتي)، الدكتور محسن مهدي الاستاذ في الجامعات الاميركية (عندما يكون في بغداد) ، صديق حسن، كاظم حسن الجاسم، قاسم الشالجي، وجيه النوري، احمد السامرائي، محمد حديد، صديق شنشل، علاء الدين عب دالمجيد فؤاد، جمال الدين الالوسي، عزيز صالح العلي العزي، عبد الواحد الهيتي، مصلح النقشبندي، عثمان نوري ال رئيس الكتاب، شامل رشيد الشيخلي، ابراهيم الشالجي، اسماعيل حقي خليل، سعدون محمود رامز، ضياء الجلبي، محمود الكروي، عبد القادر الخطيب، د. خالد العزي، الشيخ يونس السامرائي، جعفر مال الله، وليد الاعظمي.
وممن يحضر في مجالس خاصة ، وليس في معظم المجالس، الاساتذة حسين جميل، رجب عبد الحميد ، مظهر فهمي العزاوي ، داود سرسم، فريد فتيان، حسن هداوي، كاظم السعيدي، محمد يعقوب السعيدي، وعبد الله حسون العلي، ابراهيم العلي، راضي العبد ، عبد الرضا الدجيلي، باقر الدجيلي.
– اخيرا.. هل من كلمة؟
– اخشى ان يفوتني – او يفوتك – اسم من اسماء هؤلاء ، فالويل لنا

الاتحاد 23 / 9/ 1984

عبد الرزاق الجزار

حياة حافلة بالكلمة الخيرة

× عبد الرزاق حمادي صالح الجزار (من عشيرة العزة)، كان المرحم والده يشتغل بتجارة الاغنام والجزارة ويسكن محلة (المهدية) في بغداد.
× دخل كتاب ملا جليل في جامع عثمان افندي، وختم القرآن في سنة واحدة، دخل بعدها مدرسة الرصافة سنة ١٩٢٣، ثم مدرسة الحديرية. وما زال يذكر بالخير استاذه المرحوم عبد الستار القره غولي، وكان من زملائه في المدرسة الشيخ جلال الحنفي ومكي عزيز وشكري محمود نديم وخليل الساعاتي.
× دخل الكلية العسكرية وتخرج فيها ضابطا ، وعمل في المحافظات والمناطق الشمالية.
× كلف عند وجوده في بغداد بالقاء محاضرات في الشؤون الادارية والعلوم المالي، على طلاب الكلية، وعلى امري بعض الوحدات والتشكيلات العسكرية ومعاونيهم.
× شغل بعد ذلك وظيفة مدير حسابات مضلحة شهداء الجيش مدة ثماني سنوات.
× انضم لعضوية معهد التعليم البريطاني في لندن وحصل على دبلوم العلوم التجارية، وكان مجمل تحصيله الدراسي.
– دبلوم في الاقتصاد السياسي ودبلوم في الاحصاء – ودبلوم في الصحافة من كلية الصحافة – ودبلوم اخر من الجامعة الاهلية في القاهرة.
× من مؤلفاته المطبوعة
– كتاب (الشريع الضريبي في العراق) خاص بضريبة الدخل – بغداد ١٩٦٠.
– قصة التجارة الدولية (ترجمة بالمشاركة).
وله مؤلفات في التشريع المالي في الاسلام ماثلة للطبع.
كما نشر العديد من الابحاث والدراسات في معظم الدوريات العراقية والعربية.
× مكتبته الخاصة حافلة بكل مصادر المعرفة، وهي مع بساطتها انيقة، حسن الترتيب، ولا ينفك صاحبها من ان يمد اصدقائه بالعون الادبي والثقافي، وبالمراجع والمصادر النادرة والمتيسرة.
× له مراسلات واتصالات مع معظم دور النشر، وبالشخصيات العلمية والادبية في الوطن العربي.
ويعتزر بريده اليومي من اضخم بريد على مستوى الافراد والمؤسسات. فيعمل على تلخيصه لاطلاع رواد المجالس الادبية عليه.

المرحوم ابراهيم الدروبي

وكتابه (البغداديون: اخبارهم ومجالسهم)

قال صاحب (اعلام العراق الحديث) عن المرحوم ابراهيم الدروبي ما يلي:
– ولد ابراهيم بن عبد الغني الدروبي سنة ١٨٩٥ في بغداد ونشا فيها واشتغل كاتبا في محاكمها الشرعية له اثار مخطوطة كثيرة امتهن حرفة الوراقة والنسخ، ومن اثاره كتاب (البغداديون اختبارهم ومجالسهم) يبحث في بيوتات بغداد ورجالها في القرن التاسع عشر وما ادركه في القرن العشرين توفي سنة ١٩٥٩، وقد كتب كثيرا من المخطوطات منها كتاب (مطالع السعود) لابن سند البصري، توجد نسخة منه في مكتبة المتحف العراق).
اما المرحوم الاستاذ مصطفى علي، فقد تولى كتابة مقدمة لهذا الكتاب قال فيها: (هذا كتاب سيكون له شان اي شأن، لا لانه اتى بالمعجزات ولا لانه تفرد باروع المخترعات، او استاثر باغرب المكتشفات، بل لانه اكمل في عالم التاليف نقصا كنا نشعر به ونتمنى ان تفيض الايام من يقوى على اكماله، وسد ثغرة كان علماء الاجتماع يؤمنون ان يقوم من بينهم من يقدر على صدها، ويكفيهم مؤونة الكد والنصب في البحث والاستقثاء، فقد تمكن المؤلف بما وهب من احاطة واطلاع ان يؤرخ حياة بغداد الاجتماعية والعلمية، ويسجل اداب الشعب البغدادي وعاداته وتقاليده، فوفق لعرض بغداد ومجتمعها اجمل عرض وتمثيلها احسن تمثيل خلال اكثر من مائتين وستين سنة (١١١٦ هـ الى يومنا هذا – ١٣٧٨ هـ – ١٩٥٨ م).
(ومن ذا الذي لايرغب رغبة صادقة في ان يلم ببيوتات بغداد، ويقف على تاريخها وانسابها، ويحيط تراجمع رجالها، ويعرف من ينتظر منهم، ومن قضى نحبه، ولا سيما من اتى عليهم الدهر، فما ابقى لهم من باقية، ولو هذا الكتاب الذي بعتثهم من مراقدهم بعد نسيان. ونشر اسماءهم بعد طي واحياهم بعد غفاء، لما احسست منهم باحد ، ولا سمعت لهم ركزا ... الخ.

محمد علي عوني ، المترجمُ العراقي المنسيّ ..

رفعت عبد الرزاق محمد

نشرت بعض الصحف العربية (ومنها الشرق الاوسط ليوم ١٠-٥-٢٠١١) خبرا عن احتفال بعض دول العالم الاسلامي بالذكرى الاربعمئة لولادة الرحالة العثماني الشهير اوليا جلبي الذي اطلق عليه لقب ابن بطوطة الثاني . اذ قضى معظم حياته السبعين في السفر و الترحال في ارجاء العالم الاسلامي الذي كان خاضعا لسيطرة الدولة العثمانية في القرن السابع عشر الميلادي . وقد خلف اوليا جلبي كتابه الكبير الموسوم (سياحتنامة) في عشرة مجلدات ضمنه مشاهداته وانطباعاته في رحلاته ، التي بدأت من عاصمة الدولة العثمانية اسطنبول وهو في التاسعة عشرة من عمره .

وبهذه المناسبة اصدر مركز تاريخ مصر المعاصر في دار الكتب والوثائق المصرية في القاهرة الجزء الخاص بمصر من رحلات اوليا جلبي باسم (سياحتنامة مصر) ، الذي ترجمه الى العربية عام ١٩٥٢ المترجم العراقي الكردي القدير محمد علي عوني ، وتحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام والدكتور احمد السعيد سليمان وراجعه الدكتور احمد فؤاد متولي .

نبهني هذا الخبر الى البحث عن المترجم محمد علي عوني الذي يعرفه القراء العراقيون بترجمته الممتازة لعدد من مؤلفات المؤرخ العراقي الكبير محمد امين زكي (ت١٩٤٨) . وقبل هذا بسنوات ، في الثمانينيات من القرن الماضي ، تيسر لي الالتقاء بالدكتور محسن جمال الدين ، المتوفى عام ١٩٨٨ ، وكان في سبيله لنشر مجموعة من المقالات في جريدة (العراق) تحت عنوان (اكراد خدموا اللغة العربية) ، وكان من رايي ان يؤكد في مقالاته على مجموعة من المثقفين الكرد ممن غمرهم النسيان بعد ان قدموا فوائد جليلة للثقافة العراقية جديرة بالتنويه والتذكير . وكان رحمه الله كثير السؤال عن اديب كردي لم يجد له ترجمة وافية في المصادر الي تحت يديه ، وهو محمد علي عوني ، الكاتب و المترجم القدير ، وكم كانت فرحته كبيرة عندما ابلغته ان ابنة المومى اليه في بغداد ، وهي السيدة درية محمد علي عوني .وكانت قد زارت بغداد سنة ١٩٨٥ عند انعقاد مهرجان المربد بصفتها احدى الصحفيات المصريات !! . ولا اعرف ان كان الدكتور محسن جمال الدين قد اتصل بها او وجد اجابة لسؤاله عن محمد علي عوني ، فقد اخترمه الموت ولم ينشر شيئا عنه .

ولد محمد علي عوني سنة ١٨٧٩ في مدينة ديار بكر في اسرة كردية معروفة هناك ، اكمل الدراسة الابتدائية والثانوية في مدينته ، ثم سافر الى مصر لاكمال دراسته العالية في الازهر ، معقل الثقافة العربية في القاهرة . ونال امنيته في الحصول على الشهادة بتفوق ، وكانت معرفته لعدد من اللغات كالكردية والتركية والفارسية والفرنسية والانكليزية ، واجادته للغة العربية ، ان نجح في ترجمة الكثير من المقالات التاريخية والادبية ونشرها في الصحافة المصرية . ثم اتصل بالاسرة التيمورية ، الاسرة الادبية والعلمية الكبيرة في مصر ، وهي من اصول كردية كما هو معروف ، واتصل بمكتبتها الكبيرة ، وهي من اكبر المكتبات الشخصية في الشرق ، وكانت يومئذ قبلة الباحثين والادباء في الشرق والغرب . وكان ذلك كفيلا لان يتقدم لوظيفة المترجم في السرايا الملكية (البلاط) في القاهرة . واستقر فيها وتزوج من كريمة اسرة مصرية معروفة تلقب بالرفاعي ، وترك ثلاثة ابناء : صلاح وعصام ودرية . وامتد به العمر الى ان توفاه الله في ١١ تموز ١٩٥٢ ، ودفن في تكية الشيخ المغاوري على جبل المقطم . وتذكر كريمته درية انه قام بتعليم اللغة الفرسية للملكة فوزية قبل زواجها من شاه ايران محمد رضا بهلوي ، كما ترجم وثائق قصر عابدين المكتوبة بالتركية .

ترك محمد علي عوني العديد من الاثار الكتابية القيمة ، تيسر لقسم منها النشر ، وبقي القسم الاخر مخطوطا يحن الى من يزيل عنه غبار النسيان لتعم فائدته ،واثاره المنشورة هي :

١× ترجمة كتاب (خلاصة تاريخ الكرد وكردستان) الى العربية ، والكتاب للمؤرخ الكردي الكبير محمد امين زكي المتوفى سنة ١٩٤٨ . طبع الاصل في بغداد سنة ١٩٣١ ، وترجمة عوني صدرت في القاهرة سنة ١٩٣٩ .

٢× ترجمة الجزء الثاني من كتاب (مشاهير الكرد وكردستان) ، وكان الجزء الاول قد ترجم على يد ابنة المؤلف سانحة محمد امين زكي ، وطبع ببغداد سنة ١٩٤٥ .وصدر الجزء الثاني في القاهرةسنة ١٩٤٧ .

٣× ترجمة كتاب (تاريخ الدول والامارات الكردية) لمؤلفه محمد امين زكي ، وطبع في القاهرة سنة ١٩٤٨.

٤× ترجمة كتاب (شرفنامة) ، صدر في القاهرة سنة ١٩٦٢ بتقديم الدكتور يحيى الخشاب .

٥× ترجمة كتاب (سياحتنامة حدود) الجزء الخاص بمصر ، صدر عن دار الكتب والوثائق القومية في مصر ، مركز تاريخ مصر المعاصر (٢٠٠٩) .وتذكر مقدمة الكتاب ان ترجمته انجزت عام ١٩٥٢، صدر بتحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام والدكتور احمد سعيد سليمان .

اما مخطوطاته ، فقد وضع قاموسا كرديا عربيا ، ولااعرف شيئا عن مصيره . وقد ذكر المرحوم محمد امين زكي في الجزء الثاني من (مشاهير الكرد وكردستان) ان محمد علي عوني كتب رسالة سماها (الرسالة العونية في تراجم الاسرة التيمورية) في سنة ١٩٣٦ اعتمد فيها على مصادر منوعة ومنها شواهد قبور الاسرة العلمية والادبية الكبيرة . وذكر فيها ان السيد محمد تيمور كاشف شخصية كردية من منطقة (قرة جوالان) في السليمانية ، وكان قد فارق اسرته اثر خصام مع اخيه والتحق بالجيش العثماني ، ومن الصكوك والوثائق ان اسمه محمد بن اسماعيل بن علي كرد ، وهو جد العلامة احمد تيمور عميد الاسرة في القرن العشرين .

ولعل من المفيد ان نضيف هنا ان محمد تيمور كاشف جاء الى مصر مع الجيش العثماني سنة ١٨٠١ ، والتحق بجيش محمد علي باشا الكبير ، والي مصر المعروف ، ولكفائته فقد اصبح من خاصة الوالي فعينه محافظا للمدينة المنورة (١٨٣٧) ، ثم مديرا لمحافظة الشرقية . وتوفي سنة ١٨٤٨ ،وكانت ولادته في سنة ١٧٦٥، وسمي بكاشف لان النصب الاخير الذي تولاه هو كاشف الشرقية ويعني مديرها . وتقدم ابنه اسماعيل رشدي في المناصب على عهد الخديوي عباس الاول والخديوي محمد سعيد ، وتوفي سنة ١٨٧٢ ، وقد اشتهرت ابنته الشاعرة عائشة التمورية ، المتوفاة في ٢٥ ايار ١٩٠٢ وابنه العلامة المحقق احمد تيمور المتوفى في ٢٦ نيسان ١٩٣٠ ، وهذا والد الاديبين محمد (توفي شابا سنة ١٩٢١) ، ومحمود الاديب والقاص المعروف ، المتوفى سنة ١٩٧٣ ، وبهذا يكون البحث عن الاسرة التيمورية واصولها الكردية العراقية ، جدير بالاهتمام والتحري ، فهل من يدلنا على موضع مخطوطة المرحوم محمد علي عوني ؟

واخيرا ، فأن السيدة درية محمد علي عوني ، الكاتبة والصحفية (المصرية) ، ورثت شيئا من ابيها ، وتعمل على اصدار كتاب تجمع فيه كل المصريين من اصول كردية . واصدرت كتابين هما (الاكراد والعرب وئام ام خصام) و (

ذاكرة عراقية
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
مدير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي . رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل
طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون